

حوليات معهد الآداب الشرقية

(جامعة القنيس يوسف)

في ذكرى الأستاذ الدكتور فؤاد أفرام البستاني

المجلد السابع، السنوات ١٩٩٣-١٩٩٦، ٦٨٩ ص بالعربية و٢١٣ بالفرنسية

صدر العدد الخاص هذا من مجلة حوليات معهد الآداب الشرقية متأخرًا، في مطلع العام ٢٠٠٠، لأسباب وجيهة، منها كثرة المقالات (نحو ٢٥) وجميعها مداخلات رفيعة المستوى، توزعت على علماء شرقيين ومشرقيين من بلدان عديدة. ولعل الإدارة أحتجت، إلى ذلك، أن يصدر هذا المجلد مترجمًا مع حلول الذكرى المائة والخامسة والعشرين لتأسيس الجامعة اليسوعية التي كان فؤاد أفرام البستاني أحد طلابها التوايغ، ثم عالمًا علمًا من أساتذتها طوال نصف قرن وتيت.

ولما كان «المكتوب يُقرأ من عثرانه»، على حد ما جاء في القول المأثور، نورد في ما يلي عناوين المقالات التي ضمتها عدد الحوليات الفريد هذا:

«فؤاد أفرام البستاني في مجلة المشرق (١٩٢٣-١٩٥٢)» (د. أهيف ستر)؛ «وهي لمن غلب، آخر كتاب للدكتور ف. أ. البستاني» (د. متري سليم بولس)؛ «شهادة رفاء لأستاذي ف. أ. البستاني» (د. وليم الخازن)؛ «شارل مالك: فكر متنوع بلا نظام فكري خاص» (د. أفرام البعلبكي)؛ «من الأرامية إلى اليونانية. إستيعاب التراث الإنجيلي في اللغة اليونانية. مثل الزارع نموذجًا» (أ. د. روبرت بندكتي اليسوعي)؛ «تطور مفهوم الفتوة في الأدب والتاريخ العربيين» (أ. د. لويس بوزيه اليسوعي)؛ «نشأة الطفل في المجتمع الأردني...» (د. محمد الخوالده)؛ «مريم بنت عمران في كتاب تأويلات أهل السنة لأبي منصور المانريدي السمرقندي» (أ. د. سليم دكاش اليسوعي)؛ «اللون في القرآن الكريم» (د. هبة شبارو - ستر)؛ «العبارات المجتمعة في اللغة العربية الفصحى» (د. أنطون حياح)؛ «مقاربة رموزية لكتابة مارون عبّرد القصصية...» (د. أنطون طعمه)؛ «تمرير في منهجية التمييز» (د. هنري عويس)؛ «الترخيص القانوني لمؤسسات التعليم العالي الخاصة في لبنان» (د. هنري العريظ).

أما المداخلات باللغة الأجنبية فهي بالفرنسية، باستثناء واحدة حرّرت بالإنكليزية وهي بقلم الدكتور نقولا زياده حول «العرب في ما وراء النهر». وموضوعات المقالات الأخرى عالجت على التوالي، المجادلة في القرآن (المرحوم جاك يرك)، سيرة بيرس (جورج يوهاس)، «الخميس الأسود» والأدب التونسي (جان فونتين)، المعطبة الكاثوليكية في بيروت (الأب سامي خوري اليسوعي)، كتاب الحيوان للجاحظ (أنديره ميكيلا)، شهادة الجاحظ على المزدكيتين (المرحوم شارل بلا)، مسيحيو حلب في القاهرة إبان القرن ١٨ (أنديره ريمون)، مخطوط قديم للسهروردي المقتول (الأب سمير خليل اليسوعي)، خواطر

في غراما طيق الموارثة العربيّة (جيرار تروير).

أضف إلى الدراسات الغنيّة الشائفة هذه، نحو ٣٠٠ صفحة ذكر فيها تعريف بنماذج من الأطاربع التي قُدّمت إلى معهد الآداب الشرقيّة بين ١٩٩٣ و ١٩٩٦ (٣٠ أنموذجاً)، وجدول بخريجي الدراسات العليا في المعهد المذكور وإبان السنوات الأربع نفسها. كتاب أشبه بالموسوعة يستحقّ المشرفون على إصداره جزيل الثناء.

أ. ك. حشيمه

المولمة والفاروق

تأليف حنان العوف

الجزء الأول: الهنئمة الإستراتيجيّة لمولمة معيارية

طبع في دار السراج، بيروت، ١٩٩٩، توزيع دار النهار، ٤٣٣ ص

يشير المؤلّف في المقدمّة إلى أنّ كتابه هو «تحليل نقديّ مقارن للخطاب الأيديولوجيّ الرأسماليّ الغربيّ المعمّم بالنموذج الأمريكيّ» (ص ٩)، وهو خطاب «يستكمل بُعدّه القيميّ بثقافة الاستهلاك... وبالآليّة التي تضمن تحويل الإلوث الثقافيّ للإنسان... إلى مجموعة من القيم الاستهلاكيّة المتناسفة... وصولاً إلى النظام العالميّ» (ص ٩). وقد شاء المؤلّف أن يرافقه نشأة ذلك الخطاب من مهده، ليستطيع أن يحدّد طبيعته وحقيقته. ولكن، في الوقت نفسه، لم يضع أمامه أيّ «مرجع أجنبيّ عن المولمة أو محلّيّ، بغرض المحافظة على الحدس المنهجيّ في البحث، من التآثر والوقوع في فخّ المُعاد والمساهمة في ترسيخ مفاهيم خاطئة ومشوّهة تظلّ بدبيّات أو فرضيّات يقتضيّ التسليم بها والبحث انطلاقاً منها» (ص ١٠). على أنّ السبّد المرف لا يحدّد بحثه في مواكبة حدث المولمة، بل يوقّر «قاعدة البيانات الضرورية للتحكّم والإدارة بالأهداف لكلّ الخطط الترموية الاجتماعيّة والاقتصاديّة من منظور القيمة الإنسانيّة وعلاقتها بالقيمة الاقتصاديّة»، وقد استعان «بالفقه الإسلاميّ ونظّره الموضوعيّة للاقتصاد بأنّه تحرير للنفس من الحاجة وسلطة المال، وفيها تحقّق الحرّيّة الاقتصاديّة بسلامة الإرادة، وبناء العلاقات الاقتصاديّة المتعاونة والمنوازنة» (ص ١١).

تلخّص هذه الخطوط، في الرابع، محاور «الأبواب الثمانية» التي يتألّف منها الكتاب. أمّا نقطة الانطلاق، التي تجتاز الكتاب بصورة جليّة، فهي خلفيّة المولمة «الصهيونيّة». ذلك بأنّ خطاب المولمة الأيديولوجيّ ينطويّ على معاناة شعب إسرائيل منذ نشأته، وقد «تعمّر عليه تحويل الخطاب الإلهيّ بالرسالة السامرية إلى واقع يفسر منطق وجوده في الكون، ويأخذ دوه في البناء الإنسانيّ» (ص ٢١). وفي نظر السبّد العوف، تعيد المولمة اليوم إلى هذا الشعب «حقوقه المنصبة عبر آلاف السنين دفعة واحدة، مسخرة كلّ إمكانيّات وموارد العالم لتحقيق هذا المشروع، وإخضاع كلّ الشعوب والحضارات

والثقافات إلى مبدأ القيمة الجديدة (المال هو النعمة الحقيقية المعيرة عن كل الأشياء).
ويصبح الإنسان معها الغادم المطيع للمال الذي يتركز في بنوك عصبة بني إسرائيل...
(ص ٢٣).

وانطلاقاً من هذه الغاية، تتضح آثار العولمة في الدول النامية التي تفرق بالديون والفقر
وتقرى مواردها تُستغل. لذا، لا بد من شروط موضوعية لضمان التنمية فيها (ص ٥٠)، ولا
بد لها من معاداة الإمبريالية والصهيوتية (ص ٥١). وبعد أن استعرض المؤلف النزعة
الفلسفية المادية اليهودية التي إن هي إلا تحريف للمخطاب الإلهي (ص ٦٩-٨٨)، قام
بتحليل الأيديولوجيات «الثانوية» التي أثرت سلباً في العالم، فتوقف على باخوفن وماركس
وسنسر وداروين وفرويد والبياء والدونمة (ص ٨٩-١١٠). ثم تناول موضوع «المدلول
الحضاري والإنساني للثقافة العربية» (ص ١١٣-١٤٦)، فتعرض لمأزق الثقافة العربية
المعاصرة وحوارها مع الثقافات الأخرى، وأزمة المجتمعات العربية في تعيين هويتها
وانتمائها، وخلص إلى التشديد على أن الإسلام يقر تلك الفضائل المثالية لممارسة السلطة
وتطوّر الحضارة.

ويستل المؤلف إلى «التحليل النقدي والتاريخي للأيديولوجيات الأولية للعولمة» (ص
١٤٧-٢١٤)، فيتوقف على عولمة الثقافة التي تمثل «بشرية الغاب»، و«فتنة الدجال»
التاريخية، وتبرز في حالات مرضية متشعبة في العالم العربي. ثم يقدم، إزاء تلك، «النظرية
المعرفية القرآنية» و«الثقافة المعرفية في فتنة الدجال» (ص ٢١٧-٢٦٨).

وبعد أن استعرض المؤلف مشكلات العولمة وحلولها من وجهة نظر إسلامية، مشدداً
على دور الأخلاق والشرائع (ص ٢٧١-٢٩٦)، تناول «أسس بناء العولمة المعيارية»،
مظهراً كيف أن القرآن يمثل «شريعة التوحيد الإلهية بمطلقها، شمولية النص للإنسان
والكون، واحتوت النماذج الإنسانية الزمنية في سياقها من الكتب السماوية الأخرى» (ص
٢٩٩). لذا، فالإسلام يؤمن «أسس النموذج الإنساني» (ص ٣٤١-٣٧٦). ويختم
السيد العرف بالتطرق إلى «مشكلات العالم المشتركة» (ص ٣٧٨-٤٠٢)، ولا سيما
الإرهاب والتطرف.

تعليق: لا نوافق المؤلف على الأبعاد «الصهيوتية» و«الشبطنية» التي رآها في حدث
العولمة، ولا نجد في طريقة تحليله نهجاً علمياً متيناً ومبرراً. فالعولمة، إن نظرنا إليها نظرة
موضوعية، هي إحدى نتائج الفلسفة المادية الصناعية التي بلغت أوجها في عصر النهضة
والأنوار، وإحدى نتائج سياسات الانفتاح التجاري. ولكننا نؤيد المؤلف في اعتباره أن
للعولمة آثاراً سلبية على الإنسان المعاصر والمجتمعات. فلا شك في أن العولمة، بوجهها
المتطرف، تحول الإنسان إلى آلة متجة، وتمزيقه من روحه، وتخضعه للمادة. ولكن، في
المقابل، لا بد من التسليم بالتيب العلمية التي تنطوي عليها العولمة، والتي من شأنها أن
تعزّي الثقافات من المعتقدات الخرافية، وتضع الإنسان أمام مسؤوليته الجفوية في تحسين
حياته والنهوض بمجتمعه. فالمضطرب هو طرح تصورات جريئة وعلمية تحزرو إنسانا العربي
من خوفه بفقدان عاداته ومعتقداته. وتترعه من فقره وتخلقه، وتحدث تغييرات فكرية ودينية

أساسية ترسم حدود الدين الطبيعي في حياة المجتمعات، فيتم احتواء «إيجابيات» العولمة الغربية.

الأب صلاح أبو جوده البسوي

من تاريخ الجيوب اللبناني
بكاسين مع ملحقاتها والقرى المتفرعة
تأليف فريد حينة

دار كتابات، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٩، ٤٩٦ صفحة

ها هي المشرق تقول كلمتها في بكاسين مع ملحقاتها والقرى المتفرعة، البلدة التي ساهمت في نهضة المجلة (١٨٩٨) عبر أقلام عددٍ غير قليل من أبنائها نشطوا في علوم الدين والدنيا: المطران عبد الله الخوري (١٨٧٢-١٩٤٩)، الخوري إبراهيم حرقوش (١٨٧٠-١٩٤٩)، الأب سليمان غانم اليسوعي (١٨٤٨-١٩٤٣)، الدكتور شاعر الخوري (١٨٤٧-١٩١١)، إبراهيم أبو سمرا غانم (١٨٦٦-١٩٤٢)، جرجي إبراهيم نصر (١٩١٤-١٩٨٩)؛ كما وكان نعمان أبو ناصر (١٨٧٧-١٩٢٤) يرأس من مصر جريدة البشير (١٨٧٠-١٩٤٧) البيروتية للأبائ اليسوعيين، ويوسف أبو سمرا غانم (١٨٥٢-١٩٣٥) وكيل أشغال جريدة البشير ومجلة المشرق ثم مصحح المطبوعات في المطبعة الكاثوليكية.

جمع فريد حينة مادة مؤلفه ووزعها على فصول سبعة تناولت تاريخ البلدة القديم والحديث، مستنداً في ذلك إلى رفرة من المصادر والمراجع والمخطوطات والوثائق والسجلات والمشورات والجرائد والمجلات، فجاء كتابه شاملاً واثقاً. وليس من باب الثناء القول إن عملاً كهذا يلزمه جهدٌ وصبرٌ ودقّة، كون التأليف في التاريخ يتطلب كثيراً من التمحيص والتدقيق، وقدراً لا بأس به من التشكيك وعدم التصديق، وأمانة علمية موصوفة. ولا نستغرب مع هذا أن يضع المؤلف السنين لا بل العقود لإصدار الكتاب المرجع الذي يعرف أهميته المؤرخون والباحثون وأهل البلدة أصحاب الشأن، لكن قيمة له لا تُقدر ستكون للأجيال الطالعة التي ستجد فيه تاريخ الأجداد والآباء والعائلات؛ تاريخاً ترجع من خلاله إلى مئات السنين إلى الوراء، وتنطلق منه إذا أرادت للدراسة الواقع وتدوينه. وكما هو معروف: نعرف حاضرتنا إذا ما درسنا تاريخنا، ويعرفون مستقبلهم إذا ما درسوا حاضرتنا.

حرصاً على الموضوعية العلمية، وأمانة على الحقيقة التاريخية، أسوق بعض الملاحظات التي لا تنل من أهمية الكتاب، بل تطاول الشكل غالباً لا المضمون. وهي ملاحظات أعرضها - مستنداً من سعة علم المؤلف ورحابة صدره - ضمن عناوين ثلاثة: منهجية التأليف - الدقة التاريخية - لغة الكتاب.

أ - منهجية التأليف

١. ما الجدوى من إعداد فهرسين لمحتوى الكتاب، أولهما في البده وثانيهما في الختام؟ أما كان من الأنسب إعداد فهرس واحد مفصلٍ يشمل على العناوين الرئيسية والفرعية

والأكثر تنوعًا، بحيث يجعل في آخر الكتاب؟

٢. ينطلق الباحثون في العلوم كافة بتحديد التسمية أو الاسم الذي يُطلق على العلم أو الاصطلاح موضوع الدرس، ومن ثم تُدرس الجوانب الأخرى بتسلسل وترابط منطقي. كان من الأولى أن يعالج المؤلف أصل تسمية «بكاسين» قبل البدء بدراسة موقع «بكاسين» وميزات الموقع، وجغرافيته البلدة،... الخ.

٣. لقد أدرج المؤلف الحواشي في نهاية كل فصل، وهي طريقة قديمة تُتبع. لكن، لو عمد إلى وضعها في أسفل كل صفحة لكان وفّر على القارئ أو الباحث عناء التفتيش وضياح الوقت. كما أنّ كتابة المعلومات العائدة إلى كل حاشية لم تُراعَ فيها إطلاقًا القواعد المنهجية في كتابة الأبحاث؛ فاسم المصدر أو المرجع لم يُعيّر عن سواء من المعلومات بخطّ أسود غامق، أو بجعله ضمن مزدوجين ()؛ ومعلومات النشر الأخرى المتبقية لم يُفصل بينها بعلامة واحدة موحدة، فتارة كانت النقطة (.)، وأخرى الفاصلة (،)، وأحيانًا الخطّ الصغير (-).

٤. لم يحدّد المؤلف معيارًا واضحًا يُدرج على أسامه أسماء الأعلام في كلّ ميدان أو علم. فذكر أمواتًا وأحياء، وأغفل أحيانًا أمواتًا وأحياء. وكما أنّنا ننمّي أن يقتصر في تاريخه على ذكر الأموات من دون الأحياء، لما في ذلك من حرجية ومساسي بالتجريد. فلأعلامنا الأموات واجب علينا أن نبرز أعمالهم والمفاخر، أمّا الأحياء فما زالوا يسعون ويجاهدون ولن يُقتصر التاريخ عن ذكرهم.

٥. جاء في (ص ٣٤٦-١١-١٢): «يمكن القول إنّ البلدية أخطأت في اختيار المكان لأنّ لا شهر الرملة أصبحت كضهور الشوير -...». من البديهي جدًا أن يبدي المؤرخ آراء خاصة أو يصدر أحكامًا. وما نفع كتابة التاريخ إن لم تكن لأخذ الدروس والعيبر؟ لكن، ما أثار الدهشة فينا مرارًا، أن أصدر المؤلف حكمه أو أحكامه حينًا، وتغاضى عن العديد من النشاطات والوقائع والشواهب التي تثير الريبة والشكوك، وتطال ابن البلدة في إيمانه ونسائته وثقافته وحرّيته، في مجالات عديدة، بعضها من التاريخ القريب وبعضها من الحاضر المائل أمام أبصارنا والبصائر.

ب - الدقة التاريخية

أسرق بعضًا من الأغلاط التي تنتشر إلى دقة في التأريخ أو في الكتابة التاريخية، وهي قد لا تخفى - عسى اللبيب أحيانًا، وأحيانًا أخرى يعوزها البحث والتفتيش لتغدو صحيحة واضحة دالة، فنسب إلى التاريخ وتمتّ إليه بصلة. وهذه الملاحظات هي كلّها على سبيل المثال لا الحصر.

١. ورد ذكر ولادة المطران عبدالله خوري ووفاته كما يلي: (١٨٩٢-١٩٤٩) [ص ١٠٣]؛ (١٨٩٢-١٩٤٩) [ص ١٥٥]؛ «ولد في ١٣ كانون الأوّل سنة ١٨٧٢» [ص ١٥٦]. والمطران شكرالله خوري (١٨٦٣-١٩٣٤) [ص ٢٠٠]؛ المطران شكرالله خوري (١٨٦٣-١٩٢٤) [عنوان الصفحة ٣٩٥].

٢. كم كان أدقّ وأوضح تاريخيًا لو عمد المؤلف إلى ذكر أعلامه، كلّ أعلامه، بالاسم

الثلاثين والى جانبه تاريخ الولادة والوفاة، وفي حال تعذر ذلك يوضح الأسباب والصعوبات في حاشية تعود إلى التلم. وهو قد درج على ذلك أحياناً، وأقلع أحياناً كثيرة، فجاءت الأعلام مضطربة متشابكة تفصّلها الدقة في معرفة اسم الأب أو الجد، والفترة الزمنية التي عاش فيها التلم. على سبيل المثال طبعاً:

- أسعد حرفوش [ص ٣٧٣ - لا ذكر لاسم الأب، ولا تاريخ ولادة أو وفاة].
- الأب بطرس حرفوش [ص ٣٧٤ - لا ذكر لاسم الأب، ولا تاريخ ولادة، وهو حيٌّ يُرزقاً].
- الأب لويس حرفوش [ص ٣٧٦ - لا ذكر لاسم الأب، لا تاريخ ولادة ولا وفاة - توفي ١٩٧٧].

والأمثلة على ذلك وفيرة ومتشعبة في أرجاء تاريخ العائلات كلها.

٣. لقد أسقط ذكر بعض من الأعلام، كان من الأمانة والدقة إيراد بُذخنها أسوة بغيرها أو

بمبيلاتنا من الأسماء. نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- + الأب يوسف يوسف المجيل (١٩١٢/٩/١٤ بكاسين - ١٩٩٢/٧/٦ كضيفان): رئيس دير سيّدة مشموشة (١٩٥٦-١٩٥٩)، أمين سرّ عامّ الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة (١٩٥٤-١٩٥٦)، عُرف بتقواه وروحانيّته وزهده. مات برائحة القداسة.
- + الأب جرجس يوسف نصر الراهب اللبنانيّ المارونيّ (١٩٠٩-١٩٩٦): ولد في بكاسين. سبم كاهناً ١٩٣٥. رئيس دير مار يوحنا - رشميا (١٩٤٤-١٩٤٧). رئيس دير المخلص - بحتين (١٩٥٠-١٩٥٣) و(١٩٨١). رئيس دير مار أنطونيوس - النبطيّة (١٩٥٣-١٩٦٢) و(١٩٧٦) و(١٩٨٦-١٩٩٥). رئيس دير مار مارون - المعوش (١٩٧١-١٩٧٤). رئيس دير مار أنطونيوس - سير (١٩٧٤). رئيس دير مار جرجس - الناعمة (١٩٨١-١٩٧٧). مُنح سنة (١٩٥٦) وسام الاستحقاق (أو المعارف) اللبنانيّ من الدرجة الأولى مكافأةً له على عطاءاته المتزعة في الحقل التربويّ والوطنيّ. عُرف بتقواه وبساطته وحكمته وتدييره وصوابيّة آرائه.
- + النقيب فرنسيس سامي خوري (١٩٦٠-١٩٨٥): حامل تهبته قائد الجيش اللبنانيّ، استشهد في ساحة الشرف.

ج - لغة المؤلف

ولئن كان الكتاب مرجحاً إلى العمارة والخاصة من أبناء بكاسين وغيرها، فلقد كان جديراً به أن يحافظ على أصول اللغة التي ظهر بها وعلى سلامة قواعدها وتراكيبها والإملاء، فيستخبر لفته المثقّف والمتعلّم والمنخصص على السواء. ألفت الانتباه إلى عددٍ من الأخطاء اللغويّة - على سبيل المثال طبعاً - التي لا تؤخذ على الكاتب غير المتخصّص باللغة العربيّة، وإن كانت لا تليق بلغة الضاد في عصر العلم والتخصّص والانتقان.

- + فترة تنقيب وإطلاع [إطلاع] (ص ٥-٣)؛ سبما ابنه [ابنه] أنطوان (ص ٥-١٦)؛
- السياسة والدينيّة والاجتماعيّة [الاجتماعيّة] (ص ٨-٣)؛ المنطقه هذه باسم المرحوم [باسم] (ص ٣١-٢٤). أحواماً مُضت [أعوام] (ص ٥-٢)؛ سبني في التأريخ عن

البلدة [تأريخ البلدة] (ص ٥-٧-٨)؛ إنَّ المتخصِّصين باتوا كثر [كثراً] (ص ٦-٨)؛
 ووجد ذات العائلات [العائلات ذاتها] (ص ٨-١١)؛ شرقي صيدا ٨٠٠ مترًا [مترًا] (ص
 ١٤-٣)؛ بنفس الوقت [بالوقت نفسه] (ص ٢٣-٢٢)؛ في ذات الوقت (في الوقت
 ذاته] (ص ٢٧-١٨)؛ إرتفعت قبتها الأربعة [الأربع] على أربعة وعشرين عامودًا [عمودًا]
 (ص ٣١١-١١-١٢)؛ ويذهب البعض [بعضهم] إلى أنَّ (ص ٣٨-١٦)؛ يُرجَّح أنَّ
 الدخول إليها [دخولها] (ص ٨٤-١٨)؛ تلقى مبادئ القراءة والكتابة عن المعلِّمين [على
 المعلِّمين] (ص ١٧٦-٧)؛ تخصص في اللاهوت والحقِّ الكنسي [باللاهوت] (ص
 ١٨٣-١٠)؛ سيِّم كاهنًا [بسيِّم] (ص ١٨٣-١٤)؛ فنذَّل الراغب بالعلم [في العلم]
 (ص ٢٩٠-٦)؛ ولأنَّ مهنة الكهنوت لم تكن محصورة [هل الكهنوت مهنة؟] (ص
 ٣٠٤-١٠)؛ ولا كان الكاهن مضطرًّا للاحتفاظ بمذريته [مضطرًّا إلى الاحتفاظ ببتوئته]
 (ص ٣٠٤-١١)؛ كان متضلعًا باللغة السريانية [من اللغة] (ص ٤٦٠-١٠)؛ لرحلة
 لفرس جامعة أثناء العاصفة بالألوان [العمرى، أهي العاصفة بالألوان أم اللوحة أم
 الفرسي؟] (ص ٤١٣-٦).

وبا حيدًا لو ضبط الكاتب الشعر ضبطًا تامًّا، لكان سيُّل قراءته والمحافظة على وزنه
 والإيقاع، سيِّما وأنَّ بعضًا منه أوردته بلنثه العامَّة التي تقيل اللبس من دون الحركات
 والضوابط.

في الختام، أشكُر لفريد عملاً تفرَّد به، فكان مدعًا أوَّل، لا بل حجر الزاوية، في
 تدوين تاريخ بكاسين القديم والحديث، وهيئات أن يحذو حذوه آخرون فيكملون من حيث
 انتهى، ويتخلون شعلة التدوين من أيدي الآباء إلى أيدي الأبناء الحريصين على تُراب
 السلف وأمجادهم والتراث.

أسفي، كز أسفي، على بلدة أعطت اللين مطاردة ثلاثة أجيالًا، ودهطًا من الكهنة
 المتعلِّمين المتزريين، وشبحة من الرهبان المتسكِّين الزماد، وأمَّا رئيسة عامَّة، وأخوات
 راهبات عفيفات؛ وأعطت الدنيا نطاسين ورجال قانون وحملة أفلام وبيارق ومتخصِّصين بكلِّ
 فنٍّ ومطلب؛ تراها اليوم ودعواتها الرهبانيَّة والكهنوتيَّة في شبه اضمحلال تامٍّ، ونظرة الشية
 إلى الثقافة والعمل الاجتماعي يشربها اضطرابٌ في المفاهيم والأولويات. فمكة بيت
 الشباب، يعلو فوقها الغبار، ولا من يُعير الكعب أو يستعير؛ والمرح ناعمة وخشبة ومقاعد لا
 نعرف الجمهور أبدًا، فلا عروضٌ دنيئة أو ثقافيَّة أو تاريخيَّة أو ترفيهيَّة، ولا ندرات فكريَّة أو
 علميَّة، ... ولا نادي في البلدة قائمًا يبيته بالثقافة والفكر والرياضة - ركائز النمو والتحرُّر -
 وحدها الحفلات والمهرجانات تسيطر على النشاطات وتشغل الساحات وتسحر الألباب،
 فيغدو معها مجتمع البلدة والشية عنبًا غير ذي فائدة، ولا يشرُّ بما جدُّ له الأفاذ من أبناء
 البلدة الراحلين. أمَّا إذا أردت معاينة الوضع السياسي في البلدة وما يراققه فحدِّث يا عمرو ولا
 خرج.

ريمون حرقوش

حلف الفضول

تأليف الدكتور جورج جيبور وآخرون

من إصدارات الجمعية العراقية لحقوق الإنسان، فرع سورية، ١٩٨٨، ١٢٠ صفحة

إن قضية حقوق الإنسان هي من المسائل الأساسية في أيامنا، تبتّم بها معظم الدول. إلا أنّ عامة الناس في البلاد العربية تشعر وكأنّ الأمر مرتبط بالحكومات الغربية، نلّوح به بعضها حسبما تشاء وعلى نحو انتقائي فنشهره سلاحاً مرّات عديدة في وجه من يناهض مآربها، أو تتغاضى عنه ما لم يناسب مشروعاتنا. وإذا ما طالعنا النصوص الرسمية التي صدرت عن الأمم المتحدة حول هذا الموضوع، يندر ألا نجد ذكرًا لوثيقة الماغنا كارتا Magna Carta الإنكليزية التي صدرت في العام ١٢١٥، وإعلان حقوق الإنسان الذي صدر مطلع الثورة الفرنسية في العام ١٧٨٩، في حين لا نجد أي إشارة إلى وثيقة عربية.

وقد أخذ الدكتور جورج جيبور على نفسه أن يبيّن أنّ العرب كانوا سبّاقين في هذا المجال، فأبرز وثيقة استبطنها من أعماق التراث العربيّ التليد، وتحديداً من كتاب صيون الأثر لابن عبد الهادي، تقول إنّه، في أثر ظلامه لحقت بتاجر يمني في أواخر الجاهلية بمكة، قام فضلاء هذه المدينة فارعوا إلى نصرة المظلوم وتعاهدوا في بيت عبدالله بن جدعان على ألا يدعوا في مكة مظلوماً من أبنائنا أو ممّن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه على الظالم حتّى يستعيد حقه. وفي كُتب انثراث تفصيل لهذا الحدث، لا بل ورد في الحديث النبويّ الشريف: «شهدت مع أعمامي في دار عبدالله بن جدعان حلفاً لو أتيت دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت: تحالفوا أن يرذوا الفضول على أهلها وأن لا يمزّ ظالم مظلوماً». ومعروف أنّ محمّداً ألنى كلّ أحلاف الجاهلية إلا حلف «الفضول» هذا، وكان يشار إليه من قِبَل بعض الصحابة على أنّه أشرف حلف كان قطّ.

وقد جعل الدكتور جيبور، المعروف بعناده في سبيل القضايا القومية، دَيْدَنَهُ، لا بل شغلّه الشاغل، تعريف هذه البادرة، شرقاً وغرباً. والكتاب الذي نحن الآن بصددّه، يورد، في نحو ثلاثة أرباعه الأول، نصوص المقالات التي ألّفها الدكتور جيبور والمحاضرات التي ألقاها في هذا الشأن مستفيداً من حلول الذكرى الخمسين لإعلان شرعة حقوق الإنسان العالمية في العام ١٩٩٨. والربع الأخير في الكتاب هو من قلم أدباء ومفكرين آخرين تطرّقوا إلى الموضوع من عندهم أو تعليّقوا على مبادرة الدكتور جيبور. فالشكر لهذا المفكّر لأنّه ذكّر العالم بإنجاز كان العرب سبّاقين إليه، كما أنّه ذكّر العرب بأنهم أصحاب بادرة فريدة جليّة، فعليهم بالتالي أن يكونوا اليوم على مستوى ما كانوا عليه بالأسس.

أ. ك. حشيمه

الإسلام والغرب، الإسلام والعلمانية

تأليف بولس الخوري

سلسلة «المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون» - ٢

طبعة ثانية، منشورات المكتبة البولسية، جونيه، ١٩٩٧، ١٦٠ ص

يتألف هذا الكتاب من فصلين تُقسم كل منهما إلى ثلاثة أجزاء، كما أرفق بلانحة مراجع قيمة، وذات بلانحة مصطلحات. يتبع المؤلفُ بنيةً منطقيّةً متينة، وأسلوبًا وجيزًا، وفي الرقة نفسه، عميقًا وواضحًا. فاستطاع أن يبيّن بموضوعية موانع الاختلاف بين «الإسلام والغرب والإسلام والعلمانية»، عن طريق التعرّض لكتابات مفكرين بارزين، مظهرًا تلك النقاط التي تولّف منطلقات حوار جدّيٍّ ومثمر.

يبدأ المؤلفُ كتابه بعرض النزاع التاريخي بوجهته المسلّم والدبلوماسي، وما آل إليه من نتائج (ص ١١-٤٢). ثمّ يتقل إلى الكلام على «الصراع الإيديولوجي»، فيلخص وجهه بأربعة: التبشير والدعوة، والاستشراق العلماني، والمجادلة العقائدية، والحوار الإسلامي - المسيحي. وفي هذا السياق، يشدّد بولس الخوري على تركّز الاهتمام حاليًا على القيم الدنيّة المشتركة، بالرغم من الاختلافات حولها، وعلى «توحيد الجهود في سبيل القيم الإنسانية الأساسية، من عدل وسلام وأخوة وتعاون» (ص ٥٤).

وبعد ذلك يحلّل تقاطع التلاقي والاختلاف بين الثقافة العربيّة الإسلاميّة والثقافة الغربيّة على ثلاثة أصعدة: صعيد القيم الخاصّة بكلّ من الثقافتين (ص ٥٧-٦٠)، وصعيد المعارف بين التراث العربيّ التقليدي والحداثة الغربيّة (ص ٦٠-٦٤)، وصعيد التعارض بين اللاهوتانيّة والإنسانيّة (ص ٦٤-٦٥). ويختتم الفصل الأوّل بتحليل «الاختلاف في البيان الاجتماعي» والتيارات التي تجازت العالم الإسلامي بين نماذج الغرب ونماذج الإسلام التقليدي (ص ٦٦-٧٢).

أمّا الفصل الثاني، بعنوان «الإسلام والعلمانية» (ص ٧٥-١٣٨)، فيتناول فيه تطوّر التفاعل الفكري الإسلامي تجاه العلمانية، فيسجّل مواقف كتاب أيدوا العلمانية، ومواقف كتاب آخرين انتقدوا الغرب وعلمايته، ولم يوقروا حتى العرب المسلمين، أنظمتهم وأشخاصًا، ممن يتأثروا بالغرب. وبين هذين الموقفتين المتعارضتين والمتطرفتين، يقوم المؤلفُ بقراءة مواقف بعض المسلمين الذين يحاولون إقامة توازن بين العلمانية والإسلام، انطلاقًا من قبول ما يخدم التقدّم الإنساني بمختلف حنوله المعنويّة والعلمية، ورفض ما يسيء إلى الإسلام. ويختتم الخوري بقوله: «إذا ما أنعمنا النظر، وجدنا الإسلام والعلمانية، أو الدين والعلمنة، أو الحضارة العربيّة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة الحديثة، أصدقاءً يتبع كلّ منها مساره الخاص، في حين أنّ قدرها هو أن تلتقي في سعيها المشترك إلى المطلق» (ص ١٣٧).

١. صلاح أبو جوده

الرحمة الإلهية في المسيحية والإسلام

تأليف عادل تيودور خوري ومشير ياسيل هون بالاشتراك مع مجموعة علماء

سلسلة «المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون» - ٨

منشورات المكتبة البولسية، جوتييه، ١٩٩٩، ٢٤٧ ص

يضمّ هذا الكتاب عشرة مقالات قيّمة بقلم اختصاصيين مسيحيين ومسلمين. يأتي في مطلع الكتاب مقال بعنوان «الرحمة الإلهية في القرآن الكريم» (ص ٧-٢٣)، بقلم الأب عادل تيودور خوري. يبيّن المؤلف كيف عبّر القرآن عن رحمة الله، وكيف ربطها بصفات له أخرى مثل الحرّية والعزّة والحكمة. كما عرض لأهمّ مفاعيل رحمة الله وللمؤهلات الحصول على تلك الرحمة، من دون أن يُفهم ذلك شرطاً لازماً، إذ إنّ رحمة تعالى تأتي نتيجة حرّيته العليّة.

ثمّ يتبع مقالان بقلم الخوري يولس الفغالي يتناول فيهما تباغاً «رحمة الله في العهد القديم» (ص ٢٥-٦٦)، و«مفهوم رحمة الله في العهد الجديد» (ص ٦٧-١١١). في شأن هذه الرحمة في العهد القديم، ينطلق المؤلف من بعض النصوص الكتابيّة ليعرّف تلك الألفاظ التي تشير إلى رحمة الله وحنانه، ثمّ يستعرض مظاهر هذه الرحمة تجاه الضيف والغريب، واليتيم والأرملة، والضعفاء والمساكين، مبيّناً المتطلّبات الإلهية التي ترض على المؤمن الاهتمام بالمساكين. ويختم بالكلام على رحمة الله تجاه الخطاة.

ويتّبع الخوري الفغالي الأسلوب نفسه تقريباً في كلامه على مفهوم الرحمة في العهد الجديد، فيبدأ بتناول الألفاظ التي تتكلّم على الرحمة والحنان والرأفة والشفقة، ويتقل إلى المضمون اللاهوتيّ، فيشدّد على أنّ الرحمة، في العهد الجديد، لا تُحصر بمفكرة بالخطايا، بل هي دعوة إلى المؤمن ليعيش على صورة الله «أبي المرحم».

المقال الرابع بعنوان «الرحمة الإلهية في السّنة النبويّة: مفاهيم وتطبيقات» (ص ١١٣-١٣٤)، بقلم الشيخ مروان تاني. بدأ المؤلف بتعريف لفظة الرحمة لغويّاً، ثمّ تكلم عليها بصفة كونها صفةً إلهيّة، مشيراً إلى أنّها «من أشهر صفات الله وأسمائه». وبعد أن استعرض الرحمة في السّنة النبويّة، لا كصفة لله وحده، بل للنبيّ والإنسان أيضاً، ختم بتطبيقات عمليّة لها، في المجتمع المسلم، عن طريق نظام الزكاة والوقف.

المقال الخامس بعنوان «صوفيّة الرحمة (تريزبا الآفيلية)» (ص ١٣٥-١٥٨)، بقلم الدكتور جاد حاتم. محور هذا المقال خبرة القديسة الروحية المتمثّلة بعراعا الداخليّ بسبب تأوجعها بين حنين: حبّ العالم وحبّ الله. فيبيّن المؤلف كيف عبّرت القديسة عن العداوة الضارة بين الأمرين، ودور الرحمة الإلهية في تفسير نفسها ورفعها شيئاً فشيئاً إلى كمال الفضيلة، وتأثير هذه المسيرة في الآخرين.

المقال السادس بعنوان «رحمة الله في التراث السرياني» (ص ١٥٩-١٦٨) بقلم الأب إلياس خليفة. بدأ المؤلف بإبراز الفرق في المعنى بين لفظة «رحمة» العربيّة، و«رحموت» السريانية. ففي حين أنّ اللفظة الأولى تفيد العطف والإحسان، تفيد الثانية الحبّ. ثمّ

توقف على الرحمة الإلهية وعلاقتها الرطبة بصفة الله كما عبّر عنها بعض الآباء السريان. المقال السابع بعنوان «الرحمة الإلهية في اللاهوت المسيحي» (١٦٩-١٩٦) بقلم المطران كيرلس سليم بسترس. قَسَمَ المؤلف مقاله إلى قسمين تناول فيهما كيف ظهرت الرحمة الإلهية في حياة السيد المسيح وتعاليمه، وكيف تظهر في حياة الكنيسة. فشَدَّد على أنه «لا يمكن الحديث عن الرحمة الإلهية في المسيحية إلا ضمن إطار التأله... وإطار التجسُّب الإلهي». وما يرحت الرحمة الإلهية تلك، التي ظهرت في عمل يسوع المسيح الخلاصي، تظهر في حياة الكنيسة وأسرارها.

المقال الثامن بعنوان «الرحمة في فكر كيركغارد» (ص ١٩٧-٢٢٦)، بقلم يوسف لاجين. إستند المؤلف إلى كتاب «أفعال المحبة» لسورن كيركغارد، ليبيِّن منزلة الرحمة المسيحية في فكر الفيلسوف واللاهوتي الدانماركي. فأظهر أن أسمى طموحات الحب أن يبلغ الرحمة، والحب المسيحي لا ينشُد غاية في سبب خارجي، بل هو حب مجاني وليس له قيمة بذاته بل يأخذ قيمته من الحب عينه». لذا، «فمن لا يملك شيئاً يُمارس الرحمة بذاتها وليس في مظاهرها».

المقال التاسع بعنوان «أمجاد الرحمة» (ص ٢٢٧-٢٣٦)، بقلم الأب كارل راهنر. يشدّد المؤلف على أن الرحمة الحقيقية تفترض أن «تُزيل نفسها»، فتُنصي عنها خطر الكبرياء. ونظر إلى رحمة الله من هذه الزاوية، فرأى أن «الله نفسه تقلد خليقته دامجاً إياها في حقيقته الذاتية. وعندما حتق ذلك، قاس من احتمال عززنا، إذ أعطى ذاته عدمتنا، ليجعل منه مصيره الخاص».

المقال العاشر والأخير بعنوان «رحمة أم رحمتان؟ المسيحية والإسلام في إدراكهما لمعاني الرحمة الإلهية» (ص ٢٣٧-٢٤٥)، بقلم الأب مشير باسيل عون. يسأل المؤلف: هل التباين بين المسيحية والإسلام في النظرة إلى الرحمة الإلهية ناشئ «عن منطلق العمارة أم من طبيعة الرحمة عينها؟ ولكن هل يجوز الإغراق في هذا التساؤل والاستفسار عن طبيعة الرحمة بعد أن استبان لنا هذا القدر الكبير من وحدة الاختيار البشري؟». ويشدّد في الختام على أن «الرحمة الإلهية تملك، من صلب طبيعتها الفريدة، قدرة صهر التباين الفكري بين العمارتين»، وأن «أساس الحوار الديني هو الإقرار بأن وحدة الجوهر الإلهي تتجاوز تنوع التصوّر البشري».

لا شك في أن هذا الكتاب يُظهر إحدى نواحي القيمة الدينية المشتركة بين الديانتين، ألا وهي الرحمة الإلهية، ولكن كنا تمنى لو تضمّن مساهمات بقلم مفكرين مسلمين تناولوا فيها الموضوع من زاوية صوفية وروحية وتاريخية.

أ. صلاح أبو جوده

أفكار وآراء في الحوار المسيحي - الإسلامي والعيش المشترك (١)

بقلم المطران كيرلس سليم بترس

سلسلة «المسيحية والإسلام في الحوار والتعاون» - ١٠

مشورات المكتبة البولسية، جونه، ١٩٩٩، ٢٣٧ ص

يُعرف عن سيادة المطران بترس جرأته وصراحته وموضوعيته في التمرّس للموضوعات التي تهّم الحوار الإسلامي - المسيحي. ولا ريب أنّ هذه الصفات ضرورية إذا ما أردنا فعلاً إقامة حوار بناء ومسؤول، بعيداً كلّ البعد عن المجاملات العقيمة والمجادلات الاستنزائية. وقد راعى المؤلف هذا الروح في كتابه الذي هو، في الواقع، مجموعة محاضرات وكلمات ألقاها في مناسبات مختلفة.

نجد في القسم الأول من الكتاب عرضاً لأهمّ وثائق الكنيسة الكاثوليكية الرسمية المتصلة بموضوع الحوار مع المسلمين، الهدف من إبراز نظرة الكنيسة اليوم إلى الإسلام، وهي «نظرة انفتاح ورغبة في تفهمه واحترامه والتعاون معه» (ص ٤٩).

أمّا في القسم الثاني فيتناول سيادته الأمور العقائدية والأخلاقية التي من شأنها أن تؤسّس قاعدة تلاقي بين الديانتين، منها، على سبيل المثال: وحدانية الله، والصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثمّ يتطرّق تبعاً إلى موضوع عقيدة الثالوث الأقدس، التي هي «توضيح لنظرة المسيحية إلى الله الواحد وتوضيح لعلاقة هذا الإله الواحد بالشر» (ص ٩٣)؛ وشخص يسوع المسيح، فيرى أنّه «على المسلمين والمسيحيين أن يكونوا تلاميذ السيد المسيح ابن الله، ليتعلّموا الشيء الكثير من شخصه ومن تعاليمه ومن موته وقيامته» (ص ١٠٩)؛ ونبوة محمّد، فيشدّد على أنّ النظرة المسيحية إلى النبيّ محمّد، «تدعو المسيحيين إلى احترامه وتقدير ما جاء به من خير دينيّ للذين كانوا عاشرين، على الصعيد العقائديّ، في عبادة الأصنام، وعلى الصعيد الأخلاقيّ، في عمل المنكر» (ص ١٢٢).

وفي القسم الثالث، جمع المطران بترس كلمات ألقاها منذ العام ١٩٩١، وأراد بها دعوة الجميع إلى التعارّف البناء ونبذ الحقد والتفرقة، وضمن القسم الرابع والأخير كلمات في مناسبات وطنية جامعة.

إنّ خير ما نختم به هذا التعريف هو أن نردّد ما جاء في الصفحة ١١٠ من أنّ «الحوار لا يهدف إلى إزالة التروقات العقائدية، بل إلى حصرها وتوضيح النقطة التي يدور حولها الاختلاف... وأنّ الحوار يجب أن يستمرّ لمعرفة إمكانيّة وكيفية العيش معاً بالرغم من اختلافاتنا العقائدية».

أ. ص. أبو جوده

Les versets du pardon

par Myriam Antaki

Collection «Un endroit où aller», Edit. Actes Sud, Paris, 1999, 200 pages

آيات الغفران (رواية)

تأليف مريام أنطاكي

مرّة ثالثة نتحفنا السيدة مريام أنطاكي برواية لا كسائر الروايات. لما صدرت باكورتها، منذ ١٥ عامًا، بعنوان الحبيبة (La Bien-aimée)، توبلت بإعجاب القراء وتقريظ النقاد، واستحققت جائزة الصداقة الفرنسية العربية. ثم ظهرت الرواية الثانية في العام ١٩٩١، بعنوان قوافل الشمس (Les Caravanes du soleil). وجاءت الرواية الثالثة هذه تحاكي سابقتها، فتحكي قضايا الشرق وتشعباتها بلغة الغرب، بلسان فرنسي سلس جميل أين يحسدها عليه غير كاتب من أدباء الفرنسيين.

أخرف أصدقاء طالعوا هذا الكتاب ففوجئوا بأسلوبه: هل هذه رواية؟ أين «الرواية» فيها، أين السرد؟ أين تسلسل الأحداث والروابط؟ وما القول في النَّس الشعري الطاعني على الكتاب! أجل هذه رواية تختلف عما هو متداول، ولئن اختلطت طريقتها على بعضهم، فروعتها هي بالحقبة في أسلوبها القريب.

إنّ المؤلفة شاعرة، لغة ومخيّلة، وإلى ذلك كاتبة دقيقة الملاحظة تستند إلى وثائق تاريخية راعية، ولكنها آثرت أن تدخلنا جوهر كتابها من باب يختلف عن الأبواب المعهودة، لأكثر من سبب، أحدها أنّ القصة المعروضة معروفة، لو سردت برواقية وحُلت أحداثها بالطرق العادية لملها القارئ وما وصلت إلى هدفها.

فالقصة بسيطة: هي قصة فلسطين، مسألة فلسطين، الأرض التي تقدّسها الديانات الموحّدة الثلاث، موطن القدس مدينة العهد، التي بنى فيها سليمان هيكل يهوه، وصلّى فيها يسوع ومات، وعرج منها محمد إلى السماء. فلسطين هي في أيامنا شغل الدنيا الشاغل، خبزها اليوميّ منازعات وحروب، في حين يُرجى منها أن تكون أرض السلام. وهذا ما بيّته الكاتبة من خلال حلم يرويه أحمد، الفلسطيني «الإرهابي» على ما يصف نفسه، فيسترجع سيرة حياته، لاجئًا مشردًا، على يخطية قصة مهاجرين سراء، يهودًا تاهوا فيبروا من الغرب، مرورًا بالمحرقات، ليصلوا إلى أرض ميعادهم. وقوام القصة الصراعات الخارجيّة والداخليّة التي تحدث في بيته أحمد، الذي أبصر النور يوم الميلاد، لوالدين هما دارد اليهودي ومريم المسيحية.

براعة الكتابة في أنّ نضها يخال بلباقة ورشاقة متقلًا بين الخيال والواقع، الحلم واليقظة، فتكتب أنطاكي وكأنها ترمم رسومًا تترجّح فيها الرمزية والانطباعية، لا تبحر جهرا بقدر ما توسي بلمسات وهمسات تُرسل بخفر، ولكن سرعان ما تتأقن بوهج الصور البديعة والجمل المثقلة بعن ما تبحر، في شفاقة بلورية.

رواية مريم أنطاكيّ فيها القصة وفيها الشعر، فيها الغوص على أغوار النفوس والتحليق في أجواء الروحانيات والتصوّف، فيها التأمل الرصين والصلاة الكامنة، تبتدئ الحقد والعنف، ندعو إلى التآخي، إلى التسامح. أمّا في العنف فقد أوردت: «هل تعرف لماذا لم يبن داود الملك هيكل أورشليم؟... لأنّه سمع في أعماق ضميره صوتًا يقول له: لا تبني بيتًا لاسمي لأنك كنت رجل حرب وأهرقت الدماء» (ص ١٠٩). وأمّا في التسامح والغفران والتلاقي، فمنوان الكتاب يفصح عنها بخير كلام، وخاتمة الرواية من أجمل ما تجلّى في الصفحات: «إني إرهابي، حالم. نزعث فناعي، فناع السعادة لألبس فناع الخوف والعرق. خسرت. بعضهم يدعوني بطلًا، وبعضهم الآخر يلعني، أمّا أنا فاخترت صورةً خاصّة بي، طبعًا، لأنني كنت شمعًا رخوًا لا بدّ من شدّه. الليل يرخي ستره يوشحه الرماد والبخور، النجوم تشتعل، الظلّ يضع عليّ فكرة سلام، فأنحني. إنّه الركوع الأعظم أمام الله لأنني أنا، أحمد، ابن داود ومريم».

أ. كميل حشيمه

المسيح وُلد في لبنان، لا في اليهودية

تأليف الأب الدكتور يوسف بتمين

مشورات الجمعية الكونية للبنانيين، إهدن (لبنان)، ١٩٩٩، ٧٣٢ ص

هذا الكتاب هو بحث تاريخي جغرافي أثاريّ هدفه أن يحدّد علميًا المكان الحقيقيّ لولادة يسوع المسيح: فيسوع لم يولد في بيت لحم اليهودية، كما يقول الإنجيل، بل في بيت لحم الأخرى، بيت لحم اللبانية التي كانت في أيام ولادته داخل أراضي فينيقية - لبنان.

ذاك هو الطرح الذي يقدمه الأب بتمين ليبيّن المسيحية للاحتفال بيوبيل السنة الألفين في المكان الحقيقيّ الذي طمسه اليهود والمسيحيون المتهذّبون. ويأتي الكتاب في أربعة أقسام.

عنوان القسم الأوّل: بيت لحم «اللبانية» في العهد القديم. فبيت لحم هذه هي أرض كنعان، التي تمتدّ من العريش، على حدود مصر، إلى الإسكندرية، على حدود تركيا. هناك أقام الفينيقيون وهناك وُلد لبنان. أمّا بيت لحم فهي في «جليل الأمم» ولا تمتّ إلى العالم اليهوديّ بصلة. وتأتي النصوص والشروحات: تُذكر النصوص التي تحدّثت عن بيت لحم، في سفر التكوين والفضاء، في كتاب صموئيل والأخبار. فبيت لحم هذه هي في زبولون. وهي أرض قبيلة (يش ١٩: ١٠-١٦) ضمتّ في ما ضمتّ الناصرة وامتدّت إلى غربيّ الكرمل بدون أن تشمل المدن الساحليّة (قض ١: ٣٠). في جنوبها نجد سهل يزرعيل الذي ظلّ في يد الكنعانيين. والجبل المقدّس لها هو جبل تابور (تث ٣٣: ١١٩). إستفادت زبولون من علاقتها بالفينيقين فربطها سفر التكوين (٤٩: ١٣) بالبحر.

ويقدّمنا القسم الثاني لتعرّف إلى السيد المسيح في الحقيقة التاريخية المجرّدة. ليس من

دَرْتَه دَاوُد، لَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ «أَبْنَاءُ إِبْلِيسَ»، لَيْسَ يَهُودِيًّا، بَلْ هُوَ «كَنْعَانِيٌّ». إِنَّهُ يَشْبُهُ آلِهَةَ كَنْعَانَ مِنْ تَعَوُّزٍ إِلَى الْبَعْلِ وَأَدُونَيْسَ.

وَنَقَلْنَا الْقِسْمَ الثَّلَاثَ إِلَى بَيْتِ لَحْمِ «اللَّبْنَانِيَّةِ» فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. وَتَبَدَّى مَعَ الْكِرْمَلِ الَّذِي أَقَامَ عَلَيْهِ الْأَسْيَاتِيُّونَ، وَمَا أَقَامُوا فِي مَغَاوِرِ قِمْرَانَ كَمَا تَقُولُ وَثَائِقُهُمُ الَّتِي اكْتُشِفَتْ سَنَةَ ١٩٤٧ وَمَا بَعْدَ. فِي الْكِرْمَلِ مَغَاوِرٌ عَدِيدَةٌ قَدْ تَقَوَّدْنَا إِلَى «مَذُودِ بَيْتِ لَحْمٍ» كَمَا فَعَلْتَ النُّجْمَةُ مَعَ الْمَجُوسِ. وَيُنْتَهِي الْقَوْلُ إِنَّ وَطَنَ الْمَسِيحِ هُوَ جَلِيلُ «الْأَمَمِ». هُنَا لَا نَنْسَى أَنَّ الْجَلِيلَ الَّذِي امْتَزَجَ فِيهِ السَّكَّانُ، كَانَ يَضُمُّ الْيَهُودَ الْعَدِيدِينَ، وَدَلِيلُنَا إِلَى ذَلِكَ عِنْدَ الْمَجَامِعِ فِي كَفْرَنَاحُومَ (مَر ١ : ٢١) وَالنَّاصِرَةَ (لُوقَا ٤ : ١٦) وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْمَدَنِ الْجَلِيلِيَّةِ. وَيُنْتَهِي هَذَا الْقِسْمُ بِمُقَابَلَةِ بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ وَبَيْتِ لَحْمِ زَبُولُونِ، الْقَرْيَةِ مِنْ جَبَلِ الْكِرْمَلِ، مَعَ كَلَامِ عَنِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ.

أَمَّا عِنْدَ الْقِسْمِ الرَّابِعِ فَهِيَ: «الْمَسِيحُ وُلِدَ فِي لُبْنَانَ». هُوَ لَمْ يُولَدْ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، بَلْ فِي مَغَاوِرَةٍ بِالقَرْبِ مِنْ بَيْتِ لَحْمِ الْجَلِيلِ. وَهَذَا مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْإِنْجِيلِيَّ لُوقَا يَقُولُ فَقَطْ «مَذُودًا»، وَأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى الْمَغَاوِرَةِ بَدَأَ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الْمَسِيحِيِّ بِعَمِّ الْفِيلَسُوفِ يَوْمِسْتِنُوسِ ابْنِ نَابِلِسِ فِي شِمَالِ فِلَسْطِينَ.

وَتَقْدَمُ الْخَاتَمَةُ «الْحَقَائِقُ الصَّاعِقَةُ»... وَمَرَّ لُبْنَانَ. هُنَا سِتُّ عَشْرَةَ حَقِيقَةً. بِيَاكِيمِ وَالِدِ مَرْيَمِ الْعَذْرَاءِ، هُوَ مِنْ قَانَا. وَكَذَلِكَ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءِ. تَقُولُ عَنْهَا الْأَنْجِيلُ الْمُنْحَوَلَةُ إِنَّهَا أَقَامَتْ فِي الْهَيْكَلِ، وَلَكِنْ لَا هَيْكَلٌ أُورُشَلِيمَ، بَلْ مَيْكَلُ جَبَلِ الْكِرْمَلِ حَيْثُ حَصَلَتْ الْبَشَارَةُ (لَا فِي النَّاصِرَةِ كَمَا يَقُولُ لُوقَا ١ : ٢٦).

... وَأَتْرَكَ الْحَقَائِقُ الْأُخْرَى الَّتِي تَرِيدُ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْهَدَفِ الَّذِي وَضَعَهُ الْكَاتِبُ نَصَبَ عَيْنَيْهِ، وَأَعْرَضَ بَعْضَ الْمَلَاخِظَاتِ:

الملاحظة الأولى: يقول (متى ٢ : ١): «ولمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، عَلَى عَهْدِ الْمَلِكِ هِيرُودَسَ». وَبَدَلًا مَعْلَمُ الشَّعْبِ الْمَجُوسِ إِلَى «بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ» كَالْمَرُوضِ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ الْمَسِيحُ (متى ٢ : ٥). وَلَكِنْ، بِحَسَبِ قَوْلِ الْأَبِ يَمِينِ، مَتَّى هُوَ يَهُودِيٌّ وَقَدْ سَوَّاهُ النُّصُوصُ وَقَرَأَهَا مِنْ مَنظَارٍ يَهُودِيٍّ. فَمَا قَوْلُهُ إِذَا بِلُوقَا الَّذِي هُوَ وَثَنِيَّ ابْنُ وَثَنِيَّ؟ قَالَ فِي (٢ : ٤): «وَصَعِدَ يَوْسُفُ مِنَ الْجَلِيلِ، مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ، إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى بَيْتِ لَحْمِ مَدِينَةِ دَاوُدَ». فَهَلْ جَاءَ مَنْ دَسَّ الْأَفْكَارَ الْيَهُودِيَّةَ فِي نَصِّ إِنْجِيلِيٍّ لَا تَشْبُوهُ شَائِبَةٌ؟ وَكَيْفَ غَابَ الْأَمْرُ عَنْ عُلَمَاءٍ مِثْلِ أَوْرِيْجَانِيْسِ ابْنِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ؟ وَأَوْسَابِيْرُسِ ابْنِ قِيصْرِيَّةِ فِلَسْطِينَ، وَدِيُودُورُسِ مَعْلَمِ أَنْطَاكِيَّةِ؟ هَذَا عَلَى الْمَسْتَوِيِّ الْمُبْدِئِيِّ. أَمَّا عَلَى الْمَسْتَوِيِّ الْعَمَلِيِّ، فَتَحْنُ نَعْلَمُ، وَالْكَاتِبُ يَعْلَمُ، أَنَّ هُنَاكَ خَمْسَةُ آلَافٍ مَخْطُوطٌ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، تَبْدَأُ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَتَمْتَدُّ بَعِيدًا، وَقَدْ كَانَتْ الْأَسَاسُ نَسْخَةً أَلَا نَدَّ بَنْتَلَهَ (كَمَا يَقُولُ الْأَبُ يَمِينِ). وَمَا نَسْتَعْرِفُهُ هُوَ أَنَّهُ لَا نَجِدُ مَخْطُوطًا وَاحِدًا يَغْتَلِ بِاسْمِ الْيَهُودِيَّةِ، وَيُرِيبُ بَيْتَ لَحْمِ «اللَّبْنَانِيَّةِ» بِزَبُولُونِ أَوْ جَبَلِ الْكِرْمَلِ. نَشِيرُ هُنَا إِلَى أَنَّ بَيْتَ لَحْمِ الْحُرُودَةِ فِي زَبُولُونِ وَالْمَذْكُورَةَ مَرْتَيْنِ فِي الْعَهْدِ التَّقْدِيمِ (بِش ١٩ : ١٥ ؛ قَض ١٢ : ١٠) تَبْعُدُ عَشْرَةَ كِيلُومِتْرَاتٍ إِلَى الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ مِنَ النَّاصِرَةِ.

والمناهج البسيطة لا ترفض نضاً عمره ما يقارب ألفي سنة إلا بتصرّ يعاصره أو يأتي بعده بقليل. هذا ما حدث مثلاً في ما يخصّ معركة قادش حيث تحدّث الفرعون عن انتصار له على الحثّين. ولكن جاء نصّ حثّي فوضع الأمور في نصابها. ونحن نودّ أن نتعرّف إلى النصوص التي تدلّ على «التشويه» في الأناجيل والتي استند إليها الأب الدكتور يوسف يعّين.

الملاحظة الثانية: جاء يسوع من العالم اليهودي إلى نواحي صور وصيدا. فأقبلت إليه امرأة «كنعانية» من تلك البلاد وصاحت: «إرحمني يا سيدي، يا ابن داود» (متى ١٥: ٢٢). غريبة هذه المرأة تدعو يسوع بهذا الاسم. وفعل مثلها طيما بن طيما الأعمى (مر ١٠: ٤٧)، بل الجموع الآتية إلى الحجّ في أورشليم. ومع ذلك، يُنكر الكاتب نسبة يسوع إلى داود ليضع عنه صفة «اليهودي». ويررّ كلامه في العهد القديم بأنّ الكتاب «جملوا» صورة داود. لنا بحاجة إلى التذكير بصورة داود الذي زنى مع بثشبع وقتل زوجها، ولا بما عرفنا من أبنائه الذين تصارعوا حتّى الموت للوصول إلى الحكم. بل إنّ الأب يعّين استفاد من حاشية لكي يعرف أنّ داود كان رئيس عصابة. كما كان حكم كتاب الملوك قاسياً أيضاً على سليمان، ولا سيّما على مسترى نسانه العديداً وعبادته الآلهة الوثنية. وقد فات الأب يعّين أيضاً أنّ اسم داود ارتبط بأورشليم، مدينة الله، وارتبط اسم سليمان بالهيكل الذي بناه أو بالأحرى بناه له الفينيقيون. لهذا صار ذلك الاسم رمزاً بحيث قابلوا سائر الملوك به: حل ساروا في خطّ الربّ كما سار داود؟

وماذا عن ارتباط يسوع بداود؟ قال متى منتحاً إنجيله: «هذا نسب يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم» (١: ١). وتحدّث لوقا في بشارة مريم يسوع عن «عرش أبيه داود» (١: ٣٢). ولكنّ الأب يعّين وجد ردّاً على هذا القول «المدسوس» حين قرأ سفر إرميا وما قاله ذلك النبيّ عن بكنا الملك الدارديّ الذي ذهب إلى المتى (إر ٢٢: ٢٤، ٢٩-٣٠): «وإنّ ذرّة داود (مع بكنا) انتهت وتلاشت، بالمفهوم التاريخي المرضوعي المجرد». إذاً، على أنّ عرش سيجلس يسوع؟ بل ذهب الكاتب إلى القول إنّنا لا نجد وثيقة عن هذا «الملك» في عالم مصر وبلاد الرافدين. كلّ هنا صحيح. ولكن هناك تقويم للنصوص يعرف كلّ طالب جديد في كليّة اللاهوت، كما يعرف كلّ واحد بوجود بيت لحم زبولون تجاه بيت لحم اليهودية، ووجود رجال حول داود قاموا بأعمال بطولية فُتّبت إلى الملك (مثلاً، قتل جليات).

الملاحظة الثالثة: حلّنا لوقا، الآتي من عالم الوثنية، عن يسوع الذي حُتّن في اليوم الثامن كما يُختن كلّ يهودي، وأنّه قدّم إلى الهيكل وهو ابن أربعين يوماً على ما تقول التوراة، وأنّه صار ابن الوصية في الثانية عشرة من عمره، فدلّ على أنّه حفظ ما طلب إليه أن يحفظ وصار مجبراً على ممارسة الشريعة، وأنّه بدأ رسالته كما يبدأ اللاوي بحسب (عد ٣: ٤) ولكنّه، كما قال الأب يعّين، ولتن كان يهودياً، فإنّه لم يولد في اليهودية، بل في الجليل، نُجيب: آتري بولس الرسول (أو شارل) وُلد في اليهودية أم في طرسوس؟ ومع ذلك فهو يُسمّي نفسه «عبرانياً وإسرائيلياً» (٢ كور ١١: ٢٢) وقريسيّاً (فل ٣: ٥).

هنا نحاول التعرف إلى قراءة النصوص عند الأب يتين . قال يسوع إن اليهود هم «أبناء إبليس» (يو ٨ : ٤٤) . أتري يسوع ابن إبليس مثلهم؟ إن إبليس هو ذاك الذي يرفض نداء الله، هو أبو الكذب . ابن إبليس هو الخاطيء البعيد عن الله . أتري يسوع ابتعد عن الخطاة، كما فعل الفريسيون؟ أما عاشرهم وأكل معهم فتشكك الفريسيون؟ هنا نشير بشكل عابر إلى كلام على يسوع الذي هو «في حال الخاطيء» . هل يعني هذا أن يسوع صار خاطئًا؟ حين يقول النص إن يسوع صار خطيئة، فهو يعني بحسب مفهوم الكتاب «ذبيحة عن الخطيئة» . ونقرأ في (روم ٨ : ٣) : «إن الله أرسل ابنه في جسد (من لحم ودم، لا يس الضعف) يشبه جسدنا الخاطيء» . هذا يعني أن المسيح حمل في شخصه مصيرنا نحن الخطاة من دون أن يكون خاطئًا . هنا نقرأ (٢ كور ٥ : ٢١) : «لأن الذي ما عرف الخطيئة جعله الله خطيئة (أي ذبيحة عن الخطيئة) من أجلنا لتصير به أبرارًا عند الله» . وروح الأب يتين يربط عبارة «أبناء إبليس» بالحيّة الفردوسية، ليصل إلى الفريسيين الذين نعتمهم يسوع بـ«الحيات أولاد الأفاعي» . ويستخلص : لا يمكن أن يكون يسوع من هذا النسل . وهذا الذي قال عن نفسه إنّه ملك اليهود (يو ١٩ : ٢١) ، كما شهد أعداؤه، يكون وكأنه قدّم عن نفسه شهادة غير صادقة .

لن نتوقف على أمور يعرفها الجميع وهو أن يسوع وُلد من مريم البتول، وأنه لم يكن له أب بحسب الجسد، بل بحسب التبيي، ساعة قال الملاك ليوسف : «لا تخف أن تأخذ امرأتك إلى بيتك، فهي حبلى من الروح القدس» (متى ١ : ٢٠) . ولن نتوسع في قرابة يسوع الحقيقية التي هي في النهاية قرابة روحية . فيسوع كان يمكن أن يكون مصريًا أو يهوديًا أو كنعانيًا أو هنديًا . ولكنه في الواقع، وُلد في فلسطين وغاش في فلسطين ومات في فلسطين . وكان بالإمكان أن يولد في مصر أو اليونان أو رومة . ولكنه وُلد في بيت لحم اليهودية . رني النهاية عائلته عائلة روحية : أم يسوع وإخوته هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها . أما قضية ملك يسوع فقد أوضحها حين قال ليلاطس إن مملكته ليست من هذا العالم . ولماذا هذا التعب لدى الأب يتين لنفي عبارة ابن داود وكأنها تنجس المسيح؟ عند ذلك، نعيد قراءة الإنجيل، كما فعل مرقيون منذ ١٨٠٠ سنة، ونحذف منه كل ما يتعلّق بالعهد القديم . وكانت النتيجة التي وصل إليها مرقيون أنه النفي أناجيل متى ومرقس ويوحنا . كما النفي نسًا من إنجيل لوقا . وهكذا لم نعد أمام إنجيل ربنا يسوع المسيح، بل أمام إنجيل مرقيون!

وهناك شرح آخر نورده لندلّ على طريقة الكاتب في التعامل مع النصوص . هو يتكلّم على اليهود الذين هم «الخراف الضالّة من آل إسرائيل» . المعنى واضح، وهو أن في شعب إسرائيل من تعلق بالله ووصاياه مثل زكريّا وأليصابات وسمعان الشيخ وحنة النبيّة ومريم العذراء ويوسف الذي سُمّي البار . كما أن هناك أناسًا ضلّوا طريق الرب . فيجب أن يعمل المرسل لكي يدعوهم إلى التوبة (متى ١٠ : ٦) . أمّا الأب يتين فقال : اليهود هم الخراف الضالّة من آل إسرائيل، وهكذا ميّز اليهود عن بني إسرائيل؛ أمّا إسرائيل، وهنا ندخل في عالم اشتقاق خاص، فهو أسرة إيل أو عشيرة إيل، أي الشعب الكنعاني . تقول : لا بد من معرفة اللغات القديمة للتوغّل في مجال الاشتقاق . أمّا إسرائيل فنعود إلى العبرية «إي ش را

ل التي تعني جنديّ الله (أو إيل) أو المناضل أو القويّ. تعود هذه اللفظة إلى الألف الثالث قبل الميلاد وقد قرئت في ليلا. وقد تحدّث مرنوتاح (١٢١٢-١٢٠٢ ق.م.) الفرعون المصريّ، عن هذه القبيلة التي «دمرها». في أيّ حال، لا رباط بين هذه اللفظة والاشتقاق الذي يقدّمه الأب يوسف يمين. ثمّ إذا قرأنا النصّ الذي يورده انكاتب نقلًا عن (متى ١٥ : ٢٤-٢١)، فهو يرينا أنّ المرأة الكنعانيّة هي الضالّة (خلافاً لما وصف به الأب يمين الكنعانيّين) بعد أن دخل الشيطان في ابها. ولكن ما لنا وهذه المباحكات التي شجّبتها بولس الرسول وسامها قصص عجائز وخرافات. فمثل هذه المجادلات لا تخدم تديير الله المبني على الإيمان (١ تم ١ : ٤).

الملاحظة الرابعة: تنطرق إلى الكتاب المقدّس بصفة كونه كتابًا تاريخيًا. نعرف أوّلًا أنّ الديانة المسيحيّة تتأصّل في التاريخ. فيسوع وُلد، بحسب إنجيل متى، في زمن هيرودس، وهذا ما ساعدنا على التحدّث عن «سنة» ولادة طفل مغمور، تقريبًا، سنة ٦ أو سنة ٧ ق.م. أخطأ ديونيسيوس الصغير، ولكن جاء من يصحّح الخطأ مرتكزًا على وثائق قديمة، لا على نظرة باطنيّة لا ترتكز إلا على الفراغ. وحدّد لوقا بداية رسالة يسوع التي جاءت حالًا بعد رسالة يوحنا: السنة الخامسة عشرة لحكم طياربوس قيصر. هذا يعني سنة ٢٧-٢٨. كما تقرأ في إنجيل (يوحنا ٢ : ٢٠) كلامًا يشير إلى نشاط يسوع سنة ٢٧-٢٨. تكلم يسوع بطريفة وروحيّة على جسده الذي سيقرم في اليوم الثالث، ففهم اليهود الهيكل. فقالوا: بُني هذا الهيكل في ستّ وأربعين سنة. هنا نشير إلى أنّ هيرودس بدأ ببناء الهيكل سنة ١٩-٢٠، كما يقول المؤرّخ يوسيفوس في عاديّاته (١٥ : ٣٨٠).

يقول الأب يمين في هذا الصدد: «إنّ الكتاب المقدّس، ونكزها للمرّة الألف، في عهديه القديم والجديد، وبالتالي إنّ الأناجيل المقدّسة ليست كتبًا تاريخيّة وجغرافيّة بحصر المعنى، بالمفهوم العلميّ المعاصر لتاريخ الجغرافيا». وكان قد سبق فقال: «وهي كتب دينيّة». هذا ما لا شكّ فيه: الإنجيل، شأنه شأن سائر الأسفار المقدّسة، يريد أن يعطينا شهادة عن يسوع. ويسوع هذا قد تجسّد في جغرافيا، وفي تاريخ محدّد بحيث نقول إنّهُ صلب على عهد يلاطس البنطيّ، في السابع من نيسان سنة ٣٠. ونحن نقابل نصوص الأناجيل مع نصوص أخرى، وهي تساعدنا على تحديد الجغرافيا أيضًا، كما على تحديد المحيط الذي عاش فيه يسوع ثمّ الرسل. ولكننا لا نستطيع أن ننفي أمورًا عمليّة بدون الاستناد إلى نصّ آخر. فحين نقابل مثلًا أناجيل الطفولة، نرى متى ولوقا (اللّنين ابعد واحدهما عن الآخر في المكان الذي عاش فيه، وفي العقليّة التي تربّى عليها) يتفقان على القول بأنّ يسوع وُلد في بيت لحم اليهوديّة، وبأنّ مريم وُلدت يسوع بعد أن حبلت به من الروح القدس. وينترق متى عن لوقا حين يجعل المجدوس الوثنيّين يعبدون يسوع، ساعة رقصه أبناء قومه. فلماذا تخلّى هنا عن يهوديّة؟ ونستطيع أن نرافق يسوع في حياته العلنيّة بعد حياته المخفيّة، نتعرّف إلى ما عمل وما علم. إذا، انطلق الإنجيليون من واقع تاريخيّ، هو شخص يسوع المسيح، وتأمّلوا في حياته، وأعطونا شهادة على هذا الذي بدّل حياة بطرس وبولس وسائر الرسل. وهو ما يزال يعمل في كنيسة لا تقوى عليها أبواب الجحيم،

لا يقرب عليها الكذب، ولا سِيما في بصورها المقدسة التي هي أساس إيمانها.
وهكذا بعد أن قدّمنا عرضاً لكتاب الأب الدكتور يوسف يتيم المسيح وُلد في لبنان، لا في اليهودية، أوردنا بضع ملاحظات، ونستطيع أن نورد الكثير غيرها. ولكننا اكتفينا بهذا القدر. وفي النهاية، نحن أمام كتاب ضخم يضمّ ٧٣٢ صفحة من السطور المرصوفة، مع الخرائط والصور والمراجع والنصوص الكتابية والتكرارات، وقد كان بالإمكان كتابته في أقلّ من ذلك بكثير، لا سيّما أنّ مقوله بسيطة. في أيّ حال، هذا الكتاب يدغدغ العاطفة، ويشير الغرائز، ولكن لا يخدم العلم، وفي النهاية لا يخدم الحقيقة التي قال فيها يسوع: «تعرفون الحقّ والحقّ يحزركم».

الخوري بولس الفغالي

Najrân
Chrétiens d'Arabie avant l'Islam
Par René TARDY
Collection «Recherches», B. Nouvelle Série «Orient Chrétien», n°8
Beyrouth, Dar El-Machreq, 1999, 234 p.

نجران. مسيحيو الجزيرة العربية قبل الإسلام

تأليف روني تاردي

صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة «بحوث ودراسات»، التي يشرف عليها معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف، والتي تتنازع بنهجها العلمي الرائد. يتألف كتاب الأب تاردي من قسمين يضمّ كلّ منهما أربعة فصول، إضافة إلى لائحة مراجع قيمة وأربعة فهارس بوثائق النقوش الأثرية وأسماء الأماكن والمصطلحات والأشخاص.

غاية المؤلف أن يلقي ضوءاً على مجتمع نجران إبان الحقبة الواقعة بين القرن الخامس والسابع الميلاديين، وهي مدّة عرفت ولادة جماعات مسيحية مهمّة في تلك المنطقة من شبه الجزيرة العربية. غير أنّ المؤلف يشير في المقدمة إلى أنّ عمله ليس باليسير نظراً إلى قلّة الوثائق التاريخية المتّصلة بتلك الفترة، وإلى قلّة اهتمام المؤرخين المسلمين القدماء بماضي شبه الجزيرة المسيحية (ص ١٢-١٣).

إنطلاقاً من معطيات زهيدة إذا، يبدأ الأب تاردي دراسته، فيستعرض بعض المعلومات التي استنابها من نقوش وآثار تمّ اكتشافها، وهي ترسم، إلى حدّ ما، إطار الجنب التاريخي والجغرافي، وتسمح بالاستنتاج أنّ نجران، «الوادي - الواحة»، كانت تتكوّن من مجموعة قرى عرفت ازدهاراً زراعياً كبيراً، كما كانت محطة قوافل مهمّة (ص ٢١-٣٢). وبفضل موقعها هذا، بدت مكان تبادل، لا تجاري وحسب، بل فكري أيضاً.

وبنية إبراز دور نجران في تجارة القوافل، يكرّس المؤلف فصلاً كاملاً عن الموضوع (ص ٣٥-٥٠)، ويظهر أوضاع تلك المنطقة في ظلّ تنقلات التبادل تجاه الشمال والجنوب

على السراء، وقلعة نجران على الصمود إزاء تدهور تجارة القوافل وتهديدات القبائل البدوية التي استقطبها ثراء المدينة. ولكن كيف استطاعت «الوادي - الواحة» أن تقاوم وجود البدو؟ وكيف كان شكل تنظيمها الاجتماعي الذي سمح لها بالصمود؟ يحاول المؤلف أن يجيب عن هذين السؤالين بناءً على المعلومات المتوافرة (ص ٥١-٦٥)، فيخلص إلى أنَّ المدينة لرَّما عرفت مشاركة في السلطة بين البدو والحضر، الأمر الذي وفَّر الأمن وخلق مصالح مشتركة.

وبعد أن أنهى الأب تازدي رسم أطر نجران الجغرافية والتجارية والاجتماعية، انتقل إلى الكلام على إطار المدينة الديني (ص ٦٩-٩٢)، مركزًا على فكرة أساسية هي اصحاء الديانة الوثنية على نحوٍ تدريجيٍّ ابتداءً من مطلع القرن الرابع الميلادي، وعلاقة تلك الظاهرة بوجود يهوديٍّ ومسيحيٍّ في جنوب شبه الجزيرة. وبعد أن دقَّق المؤلف الشهادات التاريخية التي تأتي على ذكر دخول المسيحية واليهودية تلك المنطقة، استتج أنَّ اليهودية انتشرت فعلاً في أطراف مملكة جُمَيْرِ إِيَّان القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ولكنَّ المسيحية أخفقت في أن تؤثِّر في أوساط المملكة. أمَّا سبب نجاح اليهودية فلمعلَّه يعود إلى لجوء أعداد كبيرة من يهود بلاد ما بين النهرين إلى الجنوب هربًا من الهيمنة الساسانية.

في ضوء هذه النتيجة، يتابع الأب تازدي بحثه ليرى كيف استطاعت المسيحية أن تتأسس لاحقًا في نجران (ص ٩٣-١١٣)، فيشيع الوثائق المتوافرة نقدًا، ويقترح متصف القرن الخامس الميلادي تاريخًا تمكَّن فيه بعضهم من نشر المسيحية - ولعلها، في الأساس، النسطورية - في نجران. كما يشير إلى أنَّ بداية زمن المسيحية هنالك ترائف مع عداها أظهره يهود الوادي - الواحة تجاه المسيحيين، وبعض الصدامات بين الجماعتين التي ما لبثت أن خمدت لصالح الحرص على استقلال المدينة والمحافظة على زراعتها وتجارها.

غير أنَّ السلام في نجران لم يكن ليديم، ففي العام ٥٢٣م، أتت المدينة فرق جُمَيْرِيَّة على رأسها ملكها نفسه، الذي شاع عنه تهوِّده، وبدأت اضطهادًا طال جميع المسيحيين (ص ١١٥-١٤٨). يتطرَّق المؤلف إلى الأسباب التي حدثت بالملك الجُمَيْرِيَّ المتهوِّد، يوسف أسار يثار، إلى اضطهاد مسيحيي نجران الذين لم يتوانوا عن إظهار ولائهم له كما لجميع أسلافه. فيتوقَّف، في هذا الصدد، على النزاع بين الملك وأثيويا التي كانت تحتلَّ سماءًا من ساحل الجنوب، وعلى خوف الملك من أن يعمد مسيحيي نجران إلى إضعافه. في أثناء انهماكه في حرب مع جازته القوية. ولكن ثقة سبب آخر يشدّد عليه المؤلف هو أنَّ غالبية سكَّان نجران أصبحوا من المونوفيزيين، وقد أراد الملك الجُمَيْرِيَّ المتهوِّد التخلص منهم بدافع دينيٍّ صرف، وما المجازر التي حصلت في المدينة إلا شهادة على ذلك.

وبعد أن توقَّف المؤلف مطرلاً على أحداث نجران واستعرض جميع الوثائق التي تصف هول النساء فيها، تناول الأوضاع اللاحقة (ص ١٤٩-١٨٥)، ولا سيَّما الحملة العسكرية الأثيوبية العام ٥٢٥م التي أنهت حكم الملك يوسف، وقامت بعنف يهود حمير، وأرست حكمًا جديدًا لم يخلُ من التقلبات. ثمَّ عاد إلى الكلام على مونوفيزية نجران واحتمال

تأثرها بالبدعة اليونانية، فاستبعد هذا الافتراض لانعدام الأدلة إليه، ولكنه سلم بإمكانية تأثر النجراتيين بفكرة اليونانيين عن المسيح.

وفي الختام، تكلم الأب تازدي بإيجاز على التطورات التي شهدتها نجران والجنوب عموماً، والتي تميّزت بالتفكك السياسي والفرس التجارية، حتى نشأة الإسلام. ثم أثار موضوع اتصال النجراتيين بمحمد، وطرح أكثر من سؤال حول أسباب صمت النجراتيين عن كل ما جرى منذ ذلك الحين من معاهدات واضطهاد وتقي. فقبل صمتهم كان متعمداً أم إن ثمة مخطوطات لا تزال مطمورة في نجران تتضمن أجوبة؟

الأب صلاح أبو جوده اليسوعي

Le Liban dans les écrits de J.T. Reinaud (1795-1867)

par Hiyam Mallat

Beyrouth, 1999, 54 pages

لبنان في كتابات ج. ت. رينو (١٧٩٥-١٨٦٧)

بقلم هيام ملّاط

كتاب مفيد لتاريخ الثقافة والآداب العربية، إذ إنه يتضمن مقالين للمشرق، غير المعروف نسبياً، ج. ت. رينو وقد قدم لهما الأديب والمؤرخ الدكتور هيام ملّاط. ومن المعلومات التي يصدر بها ملّاط المقالين، أنّ رينو كان عضواً في الجمعية الآسيوية في باريس إلى جانب سيلفستر دو سامبي وأبل ريموزا، وله كتاب في الآثار العربية الفارسية والتركية، ومؤلف فيه شواهد للمؤرخين العرب حول الحروب الصليبية، ونشر سيرة النبي محمد لريمون لول، وكتب حول غارات العرب في فرنسا والسافوا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلاديين، وله مجموعة من المؤلفات حول علاقة العرب بالثقافة الهندية. وقدّم رينو أيضاً تقريراً أمام الجمعية حول «حالة الآداب لدى الشعوب المسيحية العربية في سوريا» نشرته المجلة الآسيوية في السنة ١٨٥٧، وأضاف إليه حاشية مطوّلة حول «جريدة بيروت» وهي الجريدة السياسية الأولى باللغة العربية خارج الأستانة.

المقالة الأولى تعرض الأسماء اللامعة من أهل القلم المسيحيين في منتصف القرن التاسع عشر، أمثال فارس الشدياق وناصر البازجي (يعرض لأعماله بإسهاب)، ناصيف المعلوف، رشيد الدحداح ووطنوس الشدياق. لا شك في أنّ رينو يلاحظ أنّ اللغة العربية كرسها القرآن لغة الإسلام؛ إلا أنّ المسيحيين أرادوا أن يرجعوا إلى أصول المعاني وتعتبرها تطوّر اللغة، حتى ذلك الوقت الذي أصابها الانحطاط وتلك المرحلة التي لم يعد الأدب يتج ما يرضي الفضول. رينوسف أن يكتبني الباحث ملّاط بنشر المقالين بدون تعليقات نقدية، حيث كان لا بدّ من الملاحظة أنّ الموارنة ليسوا من أتباع الطقس الملكي، وأنّ قرار اعتماد العربية لغة أدب واتصال عندهم تركز في المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦م.

أما المقالة الثانية التي تناول «جريدة بيروت»، فإنّها تستعرض مضمون أعدادها الأوائل

(ظَلَّت تصدر حتى السنة ١٩١١م، وكانت حريصة أخبار وتحليل استوحيت طرفتها من الحرائد الأوروبية). ومن الأمور التي عالجتها الصحيفة، قضية ترجمة بعض العبارات الإنفرنجية العلمية إلى العربية، وكان مرور قرن ونصف قرن على ذلك، لم يُغيّر من الأمور شيئاً.

أ. سليم دكاش

Chrétiens en Syrie
Héritiers de l'Eglise antique au cœur de l'Islam
et à la pointe de l'œcuménisme
par Ignace Dick, Alep, 1999, 124 pages

المسيحيون في سورية

تأليف إغناطيوس ديك

ليس هذا المؤلف بحثاً منقفاً، فإنه يضمّ دراسات ومقالات ونصوص محاضرات مختلفة قدّمها الكاتب في مؤتمرات دورية. ولقد نُشر أكثرها في أعمال هذه المؤتمرات أو في بعض المجلّات. نرى أن أفضل تعريف له قد يكون ترجمة عناوين فصوله إلى العربية، فهي: سورية وأوضاع المسيحيين فيها - انعكاسات النتح العربي على مسيحيي سورية - تطوّر أحوالهم الشخصية والاجتماعية - المجمع الفاتيكاني الثاني والكنائس الشرقية الكاثوليكية - العلاقات بين المسيحيين في حلب - اقتراحات لمسيرة مسكونية في الكنائس الأنطاكية - مشكلة الكنائس الشرقية المتحدة برومة - كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك والظروف المسكونية الجديدة - هل الحركة المسكونية الأنطاكية هي في طريق مسدود؟ - نيوفيطس أدليبي، متروبوليت الروم الكاثوليك في حلب (١٩٢٠-١٩٩٥): أسقف متأصل في التقليد ومنتفع على الحداثة.

لا شكّ في أنّ هذا المؤلف يأتي بأضواء متنوّعة ومعلومات تظهر حقيقة المسيحيين في سورية والمسيحيين الشرقيين بوجه عام، وتسهم في إثارة اهتمام مسيحيي الغرب بإخوتهم الشرقيين، المحتاجين إلى تعاطفهم ومساعدتهم.

أ. صبحي جموي

لبنان. من الوثنية إلى المسيحية

تأليف الخوري ناصر الجميل

بيروت، ٢٠٠٠، ١٥٤ صفحة

تقول وأنت تطري آخر صفحة من هذا الكتاب، بعد مطالعته بشوق وارتياح من الدقة إلى الدقة: لقد أعطيت القوس باربها! فإنّ هذا المؤلف التاريخي «براه» مختصّ بالتاريخ، له طول باع في هذه العاقّة وكُتب ومقالات كثيرة وصينة. والمؤلف رجل دين، ملّم بشؤون

كنيسة ماضيها وحاضرها، فكان خير مؤهل لمعالجة موضوعه إذ جال في جنباته منذ أيام الرثية إلى ظهور المسيحية ونموها في لبنان واستبابها.

ولئن ظهر الكتاب مظهرًا لطيفًا متواضع الحجم، إلا أن مادته جاءت غنية مكثفة، نذهب إلى الأحداث الأساسية الجوهرية معرضة عن القرض. فهدف الكاتب، كما أوضحه منذ البداية، هو سير مراحل تاريخ لبنان الديني، وبخاصة المسيحي، ليساعد لبتاني عصرنا على إدراك كنه رسالتهم كما بدت بداية مع الأجداد وكما ينبغي أن تدوم مستقبلًا. كان لبنان أرض قداسة طوال تاريخه، وأنه مدعو إلى أن يظل، كما ذكر به البابا يوحنا بولس الثاني، أرض رسالة حضارية وروحية، أرض لقاء وحوار ومحبة، شهادة للأمم جميعًا.

وفي ختام الكتاب وردت سلسلة من الملاحق، بين حداول تاريخية وإحصائيات وبيانات صدرت لدى إبرام اتفاقات مسكونية بين سائر الكنائس، وهي جميعًا جزيلة الفائدة للباحثين والمؤرخين.

أ. ك. حسيمة

الكنيسة الكاثوليكية في مصر. تاريخ مختصر

تأليف أديب نجيب سلامه

هدد خاص (٥٠٣) من مجلة صوت الحق، القاهرة، ٢٠٠٠، ١٩٩ صفحة

صدر هذا الكتاب عددًا خاصًا (٢٤/٢٦ فبراير ٢٠٠٠) من مجلة صوت الحق التي يشرف عليها الرهبان الفرنسيين في مصر. وذلك بمناسبة زيارة البابا يوحنا بولس الثاني القطر المصري في الربيع المنصرم. وكان الأستاذ أديب نجيب سلامه خير من يتولى تحرير هذا المصنف لما له من الخبرة في ميدان تاريخ الكنيسة وأعمالها في مصر. فقد أصدر في السنوات الأخيرة عدة مؤلفات من هذا القبيل، نذكر بعضها: الكنيسة في مجتمع القرية (١٩٧٧)، تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر (١٩٧٧)، الآباء الفرنسيون في مصر (١٩٨٩)، بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات نشرها على صفحات الدوريات المصرية.

وكتابه الأخير الذي نعرفه الآن يستعرض شؤون سائر الطوائف الكاثوليكية في مصر: الأقباط، الروم الملكيين، الموارنة، السريان، الأرمن، اللاتين، الكلدان. فيوفر المعلومات الضافية عن تاريخها ونشاطاتها وأهم أعلامها، علمًا أن حصة الأسد هي، طبيعيًا، للأقباط. ويتطرق المؤلف إلى الرهبانيات أيضًا، الخاصة منها بالرجال ومانساء. كما أنه يذكر ما تقوم به الكنيسة في مجال الحوار بين الطوائف المسيحية، وبين الديانات الموحدين المسيحية والإسلام.

وختامًا، ذيل الأستاذ أديب نجيب كتابه بمجموعة من البيانات والريانات التي توفر مادة نعمة للدارسين والباحثين.

أ. ك. ح.

اليوبيل كما أحيت الكنيسة الكاثوليكية عبر التاريخ

إعداد فارس حبيب ملكي

بمبائت (لبنان)، ٢٠٠٠، ٤٣٨ صفحة

مما لا شك فيه أنّ اليوبيل الذي أعلنه البابا يوحنا بولس الثاني لمتابفة حلول العام ٢٠٠٠ كان له صدى واسع في الكنيسة الكاثوليكية، فأقيمت الاحتفالات في جميع البلدان، وانطلقت ورشة للتجدد الروحيّ صمى إليها الرعاة والمؤمنون على الأصعدة كافة. وقد رأى المهتمس حبيب ملكي أنّ يوقرّ للمهتمين بالحدث الجليل هذا، معلومات تثير ليهج جميع جوانبه، التاريخية بخاصة، والدينية أيضًا. واستعان بكوكبة من الشبان والشابات المثقفين وأوكل الإشراف على عمله إلى أحد الرهبان السالزيان الثقات الأب فيثوريو بونسو، فجهاه كتابه مدقّقًا، شاملًا واقفيًا، جليل الفائدة، سلس المطالعة.

مهد الأستاذ ملكي للكتاب ببضع عشرة صفحة شارحًا معنى اليوبيل وما يرافقه من مناسك واحتفالات طقسية وما يُرجى منه على الصعيد الكنسي والروحيّ. ثمّ أفرد لكلّ يوبيل عُرف في التاريخ بايّا بكامله، جاعلاً الحدث في إطاره الزمني والاجتماعي، مفضلاً الأحداث وملاساتها.

ومما زاد كتابه قيمةً إيداعه عددًا من النهارس والملحقات، منها: قاموس للمفردات المتخصصة، جدولان لليوبيلات والروايق البابوية، فهرس بالأعلام وآخر بالأماكن وآخر بالصور، وهي كثيرة ومعيرة.

ختامًا نشير إلى أمر غريب، أو قلّ طريفًا (?): سُمي المؤلف اليوبيل التاسع عشر، الذي أقيم في العام ١٧٧٥ (ص ٢١٧-٢٢٦) «يوبيل حلّ جمعية اليسوعيين»، ولا نذري ما كان دافعه إلى ذلك، ولعلّه عامل التشويق!؟ فلا علاقة معروفة لليوبيل بقرار حلّ الرهبانية اليسوعية الذي اتّخذ في العام ١٧٧٣، البابا الضعيف أفليمنسس الرابع عشر، خاضعًا لضغوط الأسر المالكة في إسبانيا وفرنسا وناپولي ومزامرات الماسونيين. إلا أنّنا نتمنّى لصاحب الكتاب إيراد الخبير بموضوعية تشرفه.

أ. ك. حشيمه

المسيحية في عقائدها

المسيحية في أخلاقياتها

التعليم المسيحي الكاثوليكي للبالغين

تقليهما من الألمانية المطران كيرلس بخرس

سلسلة «الفكر المسيحي بين الأمس والبروم»، ١٨ و ١٩

منشورات المكتبة البولسية، بيروت وجونيه (لبنان)، ١٩٩٨ و ١٩٩٩، ٤٩٢ و ٤٧٣ صفحة

ظهر المجلد الأول في اللغة الألمانية العام ١٩٨٥، وهو تعليم مسيحي جديد وضعه

مجلس أساقفة ألمانية. وجاء في مقدمته: «اتباعاً للرسل، نحمل نحن الأساقفة مسؤولية خاصة للتبشير بكلمة الله، وعصرنا الذي يضطرب فيه كثيرون في إيمانهم، ولا يعرفونه على وجهه الصحيح، يدعو إلى جهود كثيفة في تعليم الإيمان. ولهذا الغرض، أصدر مجلس أساقفة ألمانية هذا التعليم المسيحي، الذي يمكن الوثوق بأنه يمثل الإيمان الكاثوليكي، وتسنده السلطة الكنسية».

ويمتاز التعليم المسيحي الجديد هذا بأنه ينطلق، في مجلده الأول، من قانون الإيمان التيقاوي النسطليني، الذي هو مشترك بين المسيحيين في الشرق والغرب.

ويختم مجلس أساقفة ألمانية قوله: «يسلم الأساقفة الألمان هذا التعليم المسيحي إلى عامة الشعب، وينوح خاصاً إلى العلمانيين الذين يعملون في خدمة الكنيسة في التبشير بكلمة الله وتعليم الإيمان. نرجو أن يعمل هذا التعليم المسيحي الجديد على تجديد الكرازة ورسيم بذلك في تجديد الكنيسة، وفي ازدهار جديد للإيمان في أبرشياتنا».

أما المجلد الثاني فقد ظهر في سنة ١٩٩٥، بعد أن لاقى المجلد الأول قبولاً مرموقاً وأقبل كثيرون على الإفادة منه، وألحوا على أن لا تطول المدة بين صدور المجلدين.

والمجلد الثاني مرتبط بالمجلد الأول ارتباطاً وثيقاً. فالإيمان، بصفة كونه هدبة من الله ونداء منه، لا بد أن يكون ملتزماً في الحياة اليومية. فإن الرصايا التي وردت في الكتاب المقدس وتعليم الكنيسة الأخلاقي المرتكز على هذه الرصايا، تريد أن توصل الإنسان إلى حياة ناجحة وسعيدة.

صدر المجلد الثاني هذا بعد أن نُشر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية في العام ١٩٩٢، ونُشرت الرسالة العامة للبابا يوحنا بولس الثاني تألث الحقيقة، التي تناولت بعض القضايا الأساسية من تعليم الكنيسة الأخلاقي. ويحتوي هذا الكتاب المرجح إلى البالغين مراجع كثيرة إلى هذين المؤلفين.

ومما يلتفت إليه ما ورد في الوثيقة الرسولية وديعة الإيمان التي نُشرت لمناسبة صدور التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية. فقد كتب البابا يوحنا بولس الثاني: «إن التعليم المسيحي هذا لا يقصد أن يقوم مقام التعاليم المحلية التي وافقت عليها السلطات الكنسية والأساقفة الأبرشيون ومجالس الأساقفة. إنه يهدف إلى التشجيع والمساعدة في وضع تعاليم محلية جديدة، تراعي الحالات والثقافات المختلفة، ولكن تحرص شديد الحرص على وحدة الإيمان وعلى الأمانة للمعينة الكاثوليكية». فكتاب التعليم المسيحي للبالغين يريد انبثاق بهذه المراعاة اللازمة وتقديم المساعدة إلى الترجمة الأخلاقي السليم في نطاق أوضاعنا وثقافتنا.

وبناء على هذا المدأ، نعد نقل التعليم المسيحي الكاثوليكي للبالغين إلى العربية مرحلة نتمنى أن توصلنا في أحد الأيام إلى وضع تعليم مسيحي كاثوليكي براعي حالاتنا وثقافتنا الشرقية. وهذا لا يمنعنا، في الختام، من أن نشي على الجهد الجبار الذي بذله سيادة المطران كيرلس سليم بيشوس في نقل ما يقارب ألف صفحة من الألمانية. كما أننا نتمنى

على المسؤولين عن المنشورات البولسية التي ما زالت نتحفنا بكتب هي آية في الإخراج .
أ. صبحي حموي

إنجيل متى

الجزء الرابع: تجلّي الملكوت

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة دراسات كتابية، ٢١، منشورات «الرابطة الكتابية»، بيروت، ٢٠٠٠، ٤٨٩ صفحة

هو الجزء الرابع والأخير لتفسير إنجيل متى، وبذلك يكون المؤلف قد انتقل من بدايات الملكوت (الجزء الأول) إلى سرّ الملكوت (الجزء الثاني) إلى الجماعة وملكوت الله (الجزء الثالث) إلى تجلّي الملكوت (الجزء الرابع).

أمّا الجزء الأخير هذا؛ فإنه يُقسم إلى أربعة أقسام تنفّرع إلى فصول. فترى على مبدل المثال، أنّ الفصل الأوّل هو عبارة عن ثمانية مداخل توشع فيها الكاتب وتجاوز إنجيل متى ففاص على سائر الأناجيل، لا بل على العهد الجديد كله، فعرّفنا إلى ابن الإنسان، إلى يسوع المسيح المخلص، إلى الربّ يسوع ودرره في ملكوت الله، إلى المعجزات والإيمان، والارتداد والثوبة والسعادة. فلا نستغرب أن يستفي هذه المداخل لاهوتية.

وفي ذيل الكتاب لائحة مراجع يبلغ عددها ١٢١ وهي كلّها أجنبية، كما أنّ المؤلف يختم كتابه بلائحة ٢١١ كلمة يونانية وردت في الجزء الرابع هذا. كلّ ذلك يعطينا فكرة، ولو متواضعة، عن الجهد الذي ما زال الكاتب بذله لإغناء مكتبتنا العربية، فبارك الله في همّته.

أ. ص. ح.

سنة القيول والرضى

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «القراءة الربّية»، ١٢، منشورات «الرابطة الكتابية»، بيروت، ٢٠٠٠، ١٥٥ صفحة

إنتهز الكاتب مناسبة يوبيل العام ٢٠٠٠ ليضع بين يدي القارئ العدد ١٢ من سلسلة «القراءة الربّية». فانطلق منّا استشهد به يسوع في (لوقا ١٨/٤-١٩)، وهو: «روح الربّ عليّ، لأنّه مسحني لأبشّر الفقراء، وأرسلني لأعلن للمسافرين تخليّة سيولهم، وللعميان عودة انبصر إليهم، وأقوّج عن المظلومين، وأعلن سنة رضى عند الربّ». وأضاف: «اليوم تمّت هذه الآية بسمع منكم».

جعل هذا الكتاب، كسائر كتب السلسلة، في شكل تأمل وصلوة. فبعد صلاة البدء المنوحة من نصّ الإنجيل، يطرح القارئ على نفسه أسئلة تفرض عليه أن يتساءل قبل أن يتوقّف على درس النصّ. وهذا الدرس يوصله إلى التأمل والمناجاة. فالصمت ضروريّ في

طريقة القراءة الرتيبة. ومع ذلك، يقرأ النص ويصلي ويصلي على حياته وحياة الجماعة التي يعيش فيها. ويُنهي كل فصل بصلاة الختام، وهي إما تلاوة صلاة «الأبانا»، أو ترنيلة، أو بترجي صلاة من الموضوع الذي تناوله.

يرجو الكاتب أن يرافق القارئ مسيرة الكنيسة في السنة البيبليّة هذه، سنة الألفين، كما أنّه يرجو أن يعود، إذا شاء، إلى فصل من الفصول، ليتأمل ما اكتشفه في ساعة أفاض الله فيها نعمة عليه. وبهذه الطريقة، لا يكون كتاب «سنة القبول والرضى» كتاب سنّة وحسب، بل كتاباً يعلم القارئ كيف يكتشف كلمة الله التي تنزّر طريقه.

أ. ص. حموي

وصيات الآباء الاثني عشر:

وصية إبراهيم، وصية موسى، وصية أيوب

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «على هامش الكتاب»، ٤، منشورات «الرابطة الكتابية»، بيروت، ٢٠٠٠، ٢٨٣ صفحة

هذا الكتاب الرابع من السلسلة هو، في الواقع، أربعة كتب صغيرة جمعها الكاتب معاً، في إطار الوصية التي تعني إرادة الإنسان الأخيرة قبل أن يموت. والسلسلة تقدّم نصراً لها علاقة بالكتاب المقدس من قريب أو بعيد، بعضها منحول أي إنّه غير ملهم.

- وصيات الآباء الاثني عشر: هي بركات يعقوب على فراش الموت في (تك ٤٩/١-٢٧). كل واحد من أبنائه يوصي أبنائه ويعطيهم ميراثه الذي هو بالأحرى ميراث روحاني وخلقي.

- وصية إبراهيم: هي قصة موت إبراهيم تُرد فيها عناصر رؤيوية.

- وصية موسى: نصّ منحول يستند إلى (تث ٣١-٣٤): يلمّ موسى، قبل وفاته، إلى بشوع الكتب الواجب حفظها ويعلّن له الأحداث المقبلة.

- وصية أيوب: تدلّ على موقفه من الملاك (٢-٥)، والشيطان (٦-٢٧)، والملوك الثلاثة (٢٨-٣٥) الذين هم أصدقاؤه الثلاثة في اليفر الحلبم، أي ألباز التيماني وبلد الشرحي وصوفر النعماني.

هذا الكتاب يساعد على فهم انبثات اليهوديّة، لا التحلّي في الأسفار البليمة وحدها، بل في سواها من المصادر.

أ. ص. ح.

الكتاب المقدس بين الآداب والعلوم

تأليف الأب بتر مديروس

سلسلة «الإيمان العربي»، منشورات المكتبة البولسية، جونيه - لبنان، ١٩٩٩، ٦٢ صفحة

يأتي المؤلف بكثير من الأفكار في قليل من الصفحات. فهو، في قسم أول، يبين وضع الكتاب المقدس بالنسبة إلى اللغة والفصاحة والبلاغة، فيقول إنه سماري في معناه قبل بناء، ويضيف أنه يصلح لكلّ زمان ومكان، في حين تبقى الفصاحة والبلاغة واللغة في النشور وسطحية الرموز. إنّ الكتاب المقدس إلهي وإنساني في آن واحد، إذ إنّ الله تكلم بلسان الناس.

وفي قسم ثانٍ، يبيّن المؤلف وضع الكتاب المقدس بالنسبة إلى العلوم الطبيعية والتاريخ، فيصرّح بأنه لا يحوي نبؤات عن الاختراعات والاكتشافات الحديثة، لأنّه لا يأتي بعلم من أمور الطبيعة. أمّا بخصوص التاريخ فمن البديهي أنّ كتابته التاريخ قبل ألفي سنة أو أكثر ليست مثل كتابته اليوم. أجل، إنّ تاريخ، ولكنه ليس تاريخاً علمياً معاصراً، بل تاريخته تجريبية شرقية سامية قديمة.

لا شك في أنّ المسيحيين الذين يعيشون في الشرق العربي هم في أمسّ الحاجة إلى تلك التوضيحات، لأنهم لا يميّزون دائماً كما يجب بين الرّوحى والإنزال، وبين المبنى والمبنى. فنصحهم في الختام بأن يطالعوا هذا الكتيب المفيد.

أ. صيحي حموي

المسيح محرّر المرأة

تأليف الأب إميل إته

منشورات الرسل، جونيه (لبنان)، ١٩٩٧، ٢٨٦ صفحة

يستهلّ المؤلف كتابه بهذه الجملة: «إنّ تاريخ المرأة هو تاريخ عبوديتها وتحرّرها». ففي الحضارات القديمة، طوال أجيال وفي بلدان لا يحصى عددها، جمع الرجل على المرأة كلّ ما يمكن تصوّره من تساوة وظلم وكبت. أمّا العهد القديم، الذي كتبه رجال في مجتمع ذكوري، فإنّه يبرهن - في كلّ ما هو إنساني، عن وجهة نظر ذكورية. فكانت المرأة مهتمة بكرامتها مهضومة.

بتطرّق المؤلف بعد ذلك إلى ظهور المسيح وتوسّع في موقفه من النساء اللواتي مرّ بهنّ في أثناء بشارته، ويستتبع أنّ هذا الموقف يعكس التدبير الإلهي الأزلي، حين خلق الله الرجل والمرأة على صورته ومثاله: علماً بأنّ الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي أوداه الله من أجل ذاته. والآيات التي حقّقها المسيح من أجل كرامة المرأة وحرّيتها فرضت نسبها في مجال التفهم العامّ والرّعي الكورني لضرورة المساواة بين الجنسين.

وفي الفصول الأخيرة، يدرس المؤلف رسالة تحرير المرأة في الدين المسيحي، انطلاقاً

من اشترك مريم العذراء في رسالة المسيح، ومما كتبه بولس الرسول عن المرأة في رسائله.

ويختم المؤلف فكرته بالإشارة إلى ما يقال في آياتنا، وهو أنّ القرن الحادي والعشرين سيكون عهد المرأة أو لا يكون. أما هو فيعتقد أنّه «يجب أن يكون هذا القرن عهد الرجل والمرأة معًا، يدًا بيد، عهد الحوار، عهد الكلمة والحبّ في آن واحد». فبِئْسَ الاعتقاد، وبِئْسَ الكتاب.

أ. صبحي حموي

يسوع المسيح أمس واليوم وإلى الأبد

تأليف الأب ميشال عويط

بكركي، ٢٠٠٠، ٨٨ صفحة

يضمّ الكتاب الجديد هذا، وهو الخامس عشر من مؤلّفات الأب ميشال عويط، مجموعة من عشرة موضوعات (وجدنا المسيح، تبنانا يسوع المسيح، مَنْ تقول الناس إنّي هو، وتوقّفت أنشودة الحبّ، ما أعظم أعمالك يا ربّ، من الأعماق صرخت إليك يا ربّ، يسوع هو الكاهن الأعظم، الخلق الجديد أو الأنشودة الخالدة، يتغيّر وجه الأرض، ونحن ماذا يجب علينا أن نعمل).

لقد وُحّد الكاتب بين هذه الموضوعات، المختلفة ظاهريًا، بعنوان كتابه الذي أسماه «يسوع المسيح أمس واليوم وإلى الأبد». نقول وُحّد، لأنّ بين هذه اللوحات التي رَسَمها، رابطة جوهرية أساسها مشروع الله الأزلي المتجلّي في يسوع الكلمة الذي أراد: الأب وعرفناه نورًا للبشر وحياة تنبع من الله أبي الحياة ومعطي الحياة، وقد تبنّى يسوع إنسانيّة ضلّت الطريق فصرخت من الأعماق فانتشلها المسيح الكاهن الأعظم وخلقها مجددًا، مغتيرًا وجه الأرض لتصبح، بعد تضافر العمل بين الخالق والخلوقة، سماء. عشرة موضوعات عالجاها الأب عويط تفاعلت بحركة دبالكتية، واسعة دورة متكاملة تبدأ في السماء لدى الله الخالق لتتحني فوق الإنسان المخلوق ترفعه ثانية إلى الخالق إنسانًا مؤلّها.

ألا بارك الله بقلم المؤلف الورع العالم الذي غاص على موضوعه بدراسة ولباقة، شاحنًا نفسه بالاستشهادات الكتابية، عارضًا إليكر السامية بأسلوب سهل قريب إلى العقل والقلب، فينتعج بها القارئ ويغيب في أن يفتنّها ويحبها مرجبها.

أ. ك. حشيمه

إنجيلنا صلاة

مزامير المعهد الجديد

تأليف وإعداد الأب جوزف هليط

منشورات النيامة، الروضة - بيروت، ١٩٩٦، ٦٢٤ صفحة

نشأ هذا الكتاب من حاجة، فقد دأب مؤلفه، وهو مؤسس دير القيامة وجماعته الرهبانية، على إحياء لقاءات محورها تأمل الإنجيل المقدس وختامتها صلاة، غالباً ما تتروحي المزامير أو تطلوها. إلا أن المزامير المعروفة، وهي من أسفار العهد القديم، كثيراً ما تنطوي على مقاطع قاسية اللهجة، تمنح على أعداء الله ثلجاً، فلا تستيقظها النسبة المسيحية، على الرغم مما تحويه من فكر ومعاني سامية.

لذا رأى الأب هليط أن يستبدل بهذه المزامير «مزامير» من نوع آخر، ينشئها انطلاقاً من نصوص العهد الجديد، لا سيما الأناجيل. فألّف ٢٤٧ «مزموماً» هي بمثابة تأملات يوحيا النص المقدس، فتتوقف على شؤون الأرض والناس لتنيرها بنور الإنجيل وتعليم المسيح، وتسمر بها وتحولها ابتيالات مشبعة بمعاناة البشرية وتطلعاتها.

الكتاب جليل الفائدة للنفوس الخاشعة، الساعية لملاقاة الله عبر كلام الإنجيل ورسائل بولس ركن المعهد الجديد.

أ. كميل حشيمه

من نحن لولاها

تأليف إيلي معوشي

سلسلة مع الحياة، ١٦، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٩٩، ٨٨ صفحة

الكتاب مجموعة من التأملات في شخص مريم العذراء، فصوله وجيزة ولكنها مكثفة، يعالج كل منها ناحية من صفات أم يسوع المسيح وما تعنيه للمؤمن. والمؤلف شديد الإيمان، يستشف القارئ عمقه طوال الصفحات. والجدير بالذكر أن المعوشي، على ما يديه من رهاقة حسن وشاعرية مجنحة، يذهب في تأملاته إلى أبعد من الكلام المتق فيعبر، بأسلوب واضح سهل الإدراك، عن حقائق لاهوتية بعيدة الغور والمدى.

أ. ك. حشيمه

روح القديسة تريزيا الطفل يسوع

ترتيب الأب إميل الحاج البولسي بتصرف وتحديث

منشورات المكتبة البولسية، جونيه - لبنان، ١٩٩٩، ١٩٠ صفحة

وُضع هذا الكتاب بالفرنسية (L'Esprit de Sainte Thérèse de l'Enfant Jésus) وقد تكون أخوات القديسة، ماري بيولين وبيولين، قد أُلّفن حالياً بعد موتها، أو على الأقل قد

ماهمن في تأليفه. ولهذا السبب لم يذكر الأب إميل الحاج اسم المؤلف على الغلاف، ورأى أن يذكر اسمه، لا سيما وأن ترجمته، كما ورد في المقدمة، «لم تأت حرفية عمياء، بل بتصرف وتحديث». ونعلل ما دعاه إلى إضافة سيرة جديدة إلى سير قديستا المتواترة أنه أراد أن ينطلق من أقدم ما كتب، بعد «قصة نرس»، وبنهيه، مستفيداً من جميع المعلومات التي حصل عليها، وما أكثرها! مستغلاً خبرته في الفن الأدبي هذا.

نتمنى لهذا الكتاب الجديد أن يلقي النجاح الذي يستحقه ويُغني مكتبتنا العربية.

أ. ص. حموي

أنا الأخت إيمانويل أشهد

تأليف أديب مصلح

سلسلة «النوايح» رقم ٥، منشورات المكتبة البولسية، جنوة - لبنان، ١٩٩٩، ٤٠٩ صفحة

هذا الكتاب هو سيرة الأخت إيمانويل الذاتية، أسبقها المؤلف بمقدمة أوجز فيها هذه السيرة وحلل، ببراعته المعروفة، جميع وجوه شخصية الأخت المذكورة، كما أنه باشر كل قسم من أقسام الكتاب بتعميد لخص فيه ما سياتي، مسلطاً الأضواء على أهم الأحداث.

سبق لمجلة المشرق أن عرفت بعض مؤلفات أديب مصلح. فبتلك، على سبيل المثال، في الجزء الأول من السنة ١٩٩٢ (ص ٢٦٢-٢٦٣) تعريف لكتابه «قديسة من بلادنا، مريم البرادري»، وفي الجزء الأول من السنة ١٩٩٣ (ص ٢٧٠-٢٧١) تعريف لكتابه «السياسي القديس، المهاتما غاندي». فإذا عرفنا أن أديب مصلح قد أتحنفاً، إلى جانب هذين الكتابين، بعدة سير قديسين، بغض النظر عن السير التي نقلها إلى العربية، جاز لنا أن نقول إنه أصبح خبيراً في الفن الأدبي هذا، يكثر منه بأسلوب شائق مستحب، يجمع فيه بين الرد والتحليل والتعليق.

أ. ص. حموي

سلسلة الشهود

من منشورات المكتبة البولسية، بيروت وجنوة

ما زالت دار نشر المرسلين البولسيين تُصدر، بين الكثير الذي تصدره، سلسلة «الشهود» التي تُعنى بإبراز شخصيات مسيحية فذة شهدت، بحياتها وإنجازاتها، على محبة إله والقريب التي عَمَّرت قلوبها وضميرها. ويظن لنا أن نذكر الكتيبات العشرة الأخيرة مبينين موضوعاتها وما قد بلغت النظر فيها:

٥ الرقم ٦٠: أمهات كهنة، بقلم الأب إميل الحاج البولسي، ١٩٩٨، ٣١٤ صفحة. يُظهر هذا الكتاب تأثير الأم في دعوة أبنائها إلى الحياة الرهبانية والكنوتية. ومن الأمهات التي ورد ذكرهن، والذات الباباوات غريغوريوس الكبير ولاون الثالث عشر وبييم

العاشر، ووالدات القديسين يوحنا الذهبي الفم وأوغسطينس وخوري أرس، ومجموع عند من ذُكِرَ بلغ الخمس والعشرين. وقد أُلْحِقَ الكتاب بفصل حرره الأب بولس الفغالي حوى إضمامة أخرى من الأمثلة على ذري كهنة وواهبات من لبنان.

• الرقم ٦١: صوت صارخ في عصرنا، بقلم أحد المرسلين البولسيين، ١٩٩٨، ١٤٠ صفحة. سيرة «الأخت الصغيرة» مادلين يسوع (١٨٩٨-١٩٨٩) مؤسدة أخوات يسوع الصغيرات.

• الرقم ٦٢: مرثي الأجيال، لمؤلفه الأب إميل الحاج البولسي، ١٩٩٩، ٢٢٦ ص. وهو سيرة القديس مريالان شامانيا مؤسس الإخوة المريميين.

• الرقم ٦٣: الضمرد المطع، للأب إميل الحاج البولسي، ١٩٩٩، ٥٢٠ ص. وهو يروي سيرة الكاهن والراهب الترابسي النمساوي فرائس بفانر.

• الرقم ٦٤: قيثارة الروح القدس، للأب إميل الحاج أيضًا، ١٩٩٩، ٧٨ ص. والكتيب ترجمة القديس أفرام السرياني. يليها متقطعات من نتاج القديس العلامة الشعرية.

• الرقم ٦٥: ناسك القوروشية، بقلم الخوري أنطون الدويهي، ١٩٩٩، ١٢٠ ص. هذا الناسك إنما هو القديس مارون. والصفحات الثلاثون الأخيرة مخصصة بالكتابة المارونية ونظامها وبعض تاريخها. - نلث النظر إلى غلط إملائي تكرّر في الكتاب كما يتكرّر عند كثير من الكتاب وهو إيراد كلمة سورية على النحو التالي: سورياً، وهي الصيغة العامية. ولا ندري لماذا كتب المؤلف تارة «فينيقيا» (ص ٢١) وتارة أخرى فينيقية (٢٢).

• الرقم ٦٦: متارة الشرق، للخوري أنطون الدويهي أيضًا، ١٩٩٩، ٢٣٨ ص. يعالج هذا الكتيب سيرة البطريرك الماروني الكبير إسطفان الدويهي (١٦٣٠-١٧٠٤) الذي يعدّ أعظم بطاركة كنيسته علمًا ودرايةً وفضيلةً، تقدّمت كنيسته هذه مؤخرًا بطلب مباشرة دعوى تطويه.

• الرقم ٦٧: بدّل الحب، بقلم الأب إميل الحاج البولسي، ١٩٩٩، ١٠٦ ص. إن هذا الكتيب ليس بالحقيقة من تأليف الأب الحاج، بل من الراهبة بوستينا فاينغو، وقد حرّره بتصرّف الأب المذكور، فذكّر اسمه على الغلاف الخارجي على أنه المؤلف، تجاوزًا من الطابع أو الخطاط، والأب الحاج هو، مع ذلك، صاحب فضل كبير، دَبَّجَ أكثر من نصف كتب سلسلة الشهود بأسلوب سلس شائق.

• الرقم ٦٨: من السيخ إلى المسيح، تأليف أليس فان برزشم، تعريب ستري يوسف شماس، ١٩٩٩، ٢٢٠ ص. قدّم للكتاب رئيس الجمهورية الأسبق شارل حلّو. ويروي هذا المؤلف سيرة حياة الشدو (الفقيه) سُندار سينغ (١٨٨٩-١٩٣٠) الذي كان من طائفة السيخ واعتنق المسيحية وعاش متقلًا يشهد على إيمانه الجديد بسمو التصوّف والذبح والصلاة والعمل.

• الرقم ٦٩: المكرّم أبوتا يعقوب الحنّاد الكبوشي، بقلم الأب سليم رزق الله

الكثيرشي، ١٩٩٩ (؟)، ٢١٤ ص. الأب سليم رزق الله هو خير من يكتب في المكرّم الأب يعقوب الحدّاد، لأنّه من أوكلت إليه متابعة دعوى تطويب الراهب الكبوشي القبيس، وله فيه عدّة بُدّ ومخاضة كتاب مطوّل صدر عن المطبعة الكاثوليكية في العام ١٩٨٠. بعد شربل مخلوف ورفقا الرّيس ونعمة الله الحرديني، سيأتي قريبًا إن شاء الله دور يعقوب الحدّاد ليشهد على أنّ جبل لبنان كان مبدئيًا للفلبيسين وسيظلّ بإذن الله.

أ. ك. ح.

لبنان...

سؤال/جواب

إعداد ميشال مراد

دار المراد، بيروت، ٢٠٠٠، ١٥٨ صفحة

للأديب ميشال مراد موهبة خاصّة في إعداد كتب تجمع المتعة والإفادة، سهلة المطالعة، يرتاح إليها الكبار والصغار، المثقّف الأصيل والمبتدئ في سُبل المعرفة. من هذه الكتب، مثالًا لا حصراً: روائع الأمثال العالمية (دار المشرق، ١٩٨٤)، ونهاية العالم، متى وكيف؟ (دار الانجاني، ١٩٩٠)، وأخيراً لبنان... سؤال/جواب الذي نحن بصدده الآن.

موضوع هذا الكتاب هو تعرّف لبنان، والطريق إلى ذلك أسلوب مستطرّف يورّخ الاهتمام على عشرة محاور هي: الآثار، الآداب، التاريخ، الجغرافية، الرياضة، الصحافة، العمران، الفنون، المشاهير، المنوعات. وعلى كلّ ورقة من أوراق الكتاب سبعة أسئلة من ضمن تلك المحاور تُجعلت على وجه الورقة، يقابلها على قنا الورقة الأجوبة الصحيحة. ومجموع الأسئلة ٤٢٠، أكثرها نعتى بالتاريخ (٨٣ سؤالاً)، يليها الأسئلة الأدبية (٥٦)، فالجغرافية (٤٨). وفي الكتاب فهاوس لتلك المحاور تساعد على حصر الأسئلة الخاصّة بمحور معيّن. وإلى القارئ نموذجان من الأسئلة المطرحة مع أجوبتها: متى بدأ العمل بقانون الضمان الاجتماعي والضمان الصحي؟ (الجواب للأوّل: ١٩٦٥، وللثاني: ١٩٧١)؛ بلدة ساحليّة بقضاء العن الشماليّ اكتثيف فيها هيكل إنسان يعود إلى العصر الأورنياسي أي إلى ٣٠ ألف سنة ق.م. ما هي؟ (الجواب: بلدة أنطلياس - مغارة كسار عقيل).

يضاف إلى ذلك مجموعة من الصور الشمسية الحميلة ذات الطابع الأثريّ أو التاريخيّ أو الاجتماعيّ أو السياسيّ، ممّا يجعل من هذا الكتيب موسوعة مصفّرة لطيفة.

أ. ك. ح.

سيصدر قريبًا عن دار المشرق

- تاريخ الكنيسة المفضل، لمجموعة من المؤلفين (ترجمة الأبوان صبحي حموي اليسوعي وأنطوان الغزال)، ٥ مجلدات.
- معجم البابوات، لخوان داثيو (ترجمة أنطوان خاطر).

- الصراعات الأخوية والمصالحة في الكتاب المقدس، للمطران أنطوان أودر اليسوعي.
- الكشف عن الله الأب والصلاة الربية، لجان بوييه (ترجمة الأب بيوس عقاص).

- الكون والتطور بين العلم والدين، للأب هنري بولا واليسوعي.
- الإرشاد الرسولي «رجاء جديد للبتان» في أبعاده اللاهوتية والروحانية والأنتروبولوجية، للمطران أنطون حميد موراني.
- لاهوت التحرير في آسيا، للأب وليم سيدهم اليسوعي.
- الألم: هل له من معنى؟ للأب نادر ميشيل اليسوعي.

- مدينة الله، للقديس أوغسطينس (ترجمة الخوري يوحنا الحلوي).
- خواطر في الفقر الاختياري (لأب فاضل سداروس اليسوعي).
- Nersès de Lambron, Explication de la divine liturgie, traduction
Isaac Kéchichian, S.J.

- ابن عبّاد الرندي: الرسائل الكبرى: تحقيق البروفسور Kenneth Honerkamp